International Sociological Association

النشرة الإخبارية

حوار كوني 3.4

ŋŭk 15 Æə ŋʀʂkɨ Æə YɨyǕ ŋʂʒʊ

ترجمة: منير السعيداني
تصميم: ياسر الزيات

فرناندو إنريكي كاردوسو يظهر من جديد

علم الاجتماع بوصفه نَذْرًا

سيزوكو أوينو
فلاديمير يادوف

بلغاريا بين الأمس واليوم

ماريا إيفانشيفا
مارتن بيتروف
جيورجي ميداروف

العلم الاجتماعي في ماليزيا

شمس الدين ب.
رحمان إيمبونغ

- ★ سياحة مدن الأكواخ
- ★ ما وراء كارثة صناعة النسيج في بانغلاديش
- ★ ورقتك البحثية في قبضة المُنَاوَلة
- ★ علم الاجتماع التونسي بعد الثورة
- ★ علم الاجتماع السينمائي
- ★ كتب أقل ثمناً لفائدة أعضاء ج د ع اج

GD
www.isa-sociology.org/global-dialogue
المجلد 3 / العدد 4 / آب (أغسطس) 2013

★ الافتتاحية

من أجل علم اجتماع جديد

لا يزال السّخط منتشر الاتّقاد على امتداد العالم مارّا مؤخرا بشعلته من حديقة جيزي وساحة تقسيم إلى كبرى المدن في البرازيل، والآن، وفيما أكتب هذا تلتهب مصر مجددا بانتفاضة شعبية غير مسبوقة الضخامة. عبّرت الجموع في ساحة التحرير عن رفض صارم لإعادة انتزاع المبادرة السياسية ((re)expropriation) وإن بنتائج غير مؤكّدة ومأساوية. تستدعي هذه الاحتجاجات المترابطة ثقافيا وإن كانت مستقلة سياسيا جائلة على امتداد الكوكب نظرية جديدة في الحركات الاجتماعية ومن ثم علم اجتماع جديد يمكنه أن يطال الكوني .

على مثل علم الاجتماع الجديد هذا أن يتجادل مع تظافر السياسي والاقتصادي بحيث نجد في هذا العدد من حوار كوني عرضا للمخفي سياسيا من الموجة الثالثة من رأسمالية السوق المتعارف عليها بالنيوليبرالية. وعليه تحلل ماليكا شاكيا الجغرافيا السياسية التي تحتكم إليها هيكلة صناعات النسيج التي تسبّبت في كارثة في بنغلاديش فيما تصف بيانكا فرير-ميديروس تطوّر سياحة مدن الأكواخ التي استغلتها الأنظمة السياسية المتعاقبة على البرازيل للاستثمار في الفقر. يحلل جيف سالاز الكيفية التي يتمكن بها الناشرون من الحصول على أرباح خيالية من مقاولات المناولة معوضيننا نحن (أو مكتباتنا) في إعادة شراء منتوجات كنا نحن أنفسنا أنتجناها. بعيدا عن ذلك، وفي منحى تاريخي شخصي ملتزم، يروي لنا رحمان إيمبونغ كيف تمت إزاحة علم الاجتماع من الواجهة فيما تبحث أرقى الجامعات الماليزية على تلك الاختصاصات التي تضمن اغتنام أرباح قصيرة الآجال مع هدوء سياسي مديد الآجا ل.

أين يمكننا إذا أن نجد علم الاجتماع الجديد هذا؟ كنت قد تابعت شخصيا جيلا صاعدا من علماء الاجتماع النقديين في أوروبا الشرقية ما بعد الشيوعية- بولونيا، أوكارنيا، رومانيا، وألمانيا الشرقية، وفي في هذه الصفحات يعالج ثلاثة من علماء الاجتماع الشبان من بلغاريا بعض مفردات المناقشات الوطنية. يصف مارتن بيتروف مجرى حياة أناس يعيشون في القاع ويقبعون خارجا، ضحايا للنظامين القديم والجديد ومكافحين من أجل التميّز في شوارع صوفيا. يرسم جيورجي ميداروف السبل المتشعبة للسياسات المعالجة للماضي مستهدفة الشيوعيين القدامى بحيث تحوّل حياتهم إلى وجود شبحي ولكن مع الاستجابة لدافع تخليص بلغاريا من ماضيها الفاشي، وبهذه الطريقة يزوغ الانتباه عن اتجاهات الفاشية الحالية. تفكر ماريا إيفانشيفا نقديا في تبنيها مبكّر التسرع للانتقال الديمقراطي مسافرة حتى فينزويلا لتفحص مآزق اشتراكية أخرى وناظرة في الدروس والعبر التي تحملها لأوروبا الشرقية. ثلاثتهم يحاولون صياغة علم اجتماع يسائل الماضي بحثا عن سبيل يسلكه حاضر ا.

يتطلب علمُ اجتماع جديد طرائق في البحث جديدة لاستغراق طبقات التاريخ والمجتمع متعددة الأصوات. ليس من بداية أفضل من استجواب جوردانا مالتون كلاّ من حويس صباغ وجون بيار دوران حول برنامجهما في علم الاجتماع السينمائي في جامعة أيفري. ارتباطا بذلك أود أن أمدد في آجال دعوة مفتوحة لتقديم نصوص حول صور (صور عالية الدقة مع تأويل في 300 كلمة) للنشر في حوار كوني.

★ يمكن الاطلاع على حوار كوني في 15 لغة على موقع الجمعية الدولية لعلم الاجتماع

★ ترسل المساهمات إلى العنوان التالي: burawoy@berkeley.edu

فرناندو أنريكي كاردوسو: انتخب رئيسا للبرازيل لعهدتين (*1995-2003*). رأس الجمعية الدولية لعلم الاجتماع (*1982-1986*)، كان عالم اجتماع رائداً بعمله و كاشفاً عن المزايا و العيوب لكونه عالم اجتماع و رئيسا للبرازيل في الوقت نفسه.

شيزوكو أوينو: مفكرة وناشطة يابانية مشهورة وعالمة اجتماع تكرس اهتمامها للمسار الصعب المؤدي الذي اجتازته الحركة النسائية وتعكف على تقويم مكاسبها التاريخية وما ينتظرها من مهام.

فالديمير يادوفو: رائد لعلم الإجتماع الروسي في الحقبة السوفيتية و مدافع عن استقلال علم الإجتماع أثناء حكم بوتين و رئيس سابق للجمعية الدولية لعلم الإجتماع و هو معلم محبوب من جانب الكثيرين و هو يصف التحديات التي واجهها.

★ في هذا العدد

الافتتاحية: من أجل علم اجتامع جديد 2

الرئيس عالم اجتماع
مع فرناندو إيريكي كاردوسو، البرازيل 4

علم الاجتماع بوصفه نذرًا - في اعتناق النسويّة في اليابان
بقلم شيزوكو إيونو، جامعة طوكيو، اليابان 7

علم الاجتماع بوصفه نذرًا - مصير شخصي: في أن تكون عالم اجتماع
فلاديمير يادوف، روسيا 9

★ **الاستثمار في الفقر**

رحلات مدن الأكواخ
بقلم بيانكا فيرير -ميديروس، البرازيل 11

ما وراء كارثة النسيج في بانغلاديش
بقلم ماليكا شاكيا، الهند 14

ورقتك البحثية في قبضة المناولة
بقلم جيفري سالاز، الولايات المتحدة 17

كتب أقل ثمنا لفائدة أعضاء ج د ع اج
بقلم سوجاتا باتل، الهند 20

★ **عدسة مركّزة على بلغاريا**

بين اشتراكيتين
بقلم ماريا إيفانشيفا، المجر 22

قصص قصيرة من شوارع صوفيا
بقلم مارتن بيتروف، بلغاريا 24

الجدل البلغاري ما بعد الشيوعي حول المحرقة
بقلم جيورجي ميداروف، دامعة صوفيا، بلغاريا 26

★ **العلم الاجتماعي في ماليزيا**

العلم الاجتماعي في خضم بناء ماليزيا
بقلم شمس الدين ب.، ماليزيا 28

حياة عالم اجتماع ملتزم وتقلباتها
حوار مع داتو رحمن إيبونغ، ماليزيا 30

★ **حياة علم الاجتماع**

علم الاجتماع التونسي بعد الثورة
بقلم منير السعيداني، جامعة تونس المنار، تونس 34

علم الاجتماع السينمائي
حوار مع جُويس صباغ وجون بيار دوران، فرنسا 36

★ طاقم التحرير

رئيس التحرير: مايكل بو روواي

محرران متصرفان: لولا بوسوتيل، أغوستو باغا

محررون مشاركون: مارغات أبراهام، تينا إيوس، راكال سوزا، جينيفر بلات، روبرت فان كريكن .

مستشارو تحرير: إيزابيلا بارلينسكا، لويس شوفال، ديك سيندوغولو، توم دوير، يان فريتز، ساري حنفي، جام خيمنيز، حبيب‌الله خندكر، سيمون مابادمينغ، إيشوار مودي، نيكيتا كروفسيك، إميا بوريو، يوشيميشي ساتو، فينيتا سينها، نيامن يـ رينا، شن يـ شون يي، إيلينا زدرافوميسلوفا .

محررون جهويو ن:

لعام‌العربي: ساري حنفي، نريالسعيدايذ .

البرازيل: غوستافو انيغوي‌ت جوليانا تونشي، بيدرو مانشيني، آندريزا غالي، ريناتا باريتو ريتورليان، آنجيلو مارتنس جونيور، لوكاس آمارال ، سيليا آرريبا س.

كولومبيا: ماري خوسي ألفاراث ريفادولا، سيباستيان فيلاميز ر سانتامريا، أندريس كاسترو آرووخو، كاترين غايتان سانتامرايا .

الهند: إيشوار مودي، راجيف غوبتا، راشمي ـن يـ أوداي سينغ .

إيران: ريحانة جافادي، نجمة طاهري، حميد رضا رأفت نجاد، ساغار بوزورغي، ، فائزة خازيهزادة، شهراد ساهفاند، تارا أشغري لاله .

اليابان: كازهيسا نيشيهارا، ماي شيبا، كوسوي‌ك هيمونو، تاكامي، يوتاكا إيودات، كازوهريو إيكيدا، يو فوكودا، ميشيكو سامبي، تاكاكو ساتو، شوهي ناكا، يوتاكا مايدا، مويوي‌ك إيدي، يوكو هوتا، توموهريو تاكامي .

بولونيا: ميكولاي ييزيويسي‌ك كارولينا ميكولاويسكا، ياكوب روزنباوم، يستوف غوبانسي‌ك إميليا هودزينكا، جوليا ليغات، آدام موللر، توماس بياتاك، آنا بيكوتويسكا، آنا رزيزنيك، كونراد سياماسكو، جوستينا ويتويسكا، صوفيا وودارسيك، باتريسيا بندراكووسكا .

رومانيا: وزميا روغينيس، إيلينا سينزيانا سوردو، مونيكا ألكسندرو، تليغدي بالاس، ماريان ميخاي بوغدان، آدريانا بوندور، روماننا كانتراجيو، ماريام سيهوداريو، آلكساندرا دوتو، كاتالينا غولي، آنجليكا هيلينا مارينيسكو، مونيكا نادراغ، وسيان روتاريو، كوزميا ريوغينيس، آلينا ستان، مارا يتان، إيلينا تودور، كريستيان كونستونتان ريس .

روسيا: إيلينا زدرافوميسلوفا، آنا كادنيكوفا، إيلينا نيكفوروفا، آسيا فورونكوفا، إيكاتارينا موسكاليفا، جوليا مارينافيشن يـ إيليونورا بورتيسيفا

تايوان: جينغ ماو هو .

تركيا: آيتل كاسابوغولو، نيلاي شابوك كايا، غونور إيرتونغ، يونكا أوداباش، زينب بايكال، جيزم غونا ر.

أوكرانيا: زفيتلانا خوتكان أولغا كوزوفكينا، بولينا بايتسيم، ماريا دو اتشينكو، غرينا كليافتسوفا، داريا كوروتكيه، ماريا كوتو ، ليديا كوزمسكا، آناستازيا ليبينسكا، يوليا برمياك، ريولسلافا رومانشوك، إيرينا شوستاك، كسينيا شفيتز، ليودميلا سموليار، أورينا ستيتسنكو، بولينا ستونوسكو، ماريا فوروتيلينا .

مستشاران إعلاميان: آيذ ـن يـ خوسي ريغوير ا.

مساعد تحرير: آبيغيل أند روز.

الرئيس عالمَ اجتماع

حوار مع فرناندو أنريكي كاردوسو

فرناندو أنريكي كاردوسو.

بعد أن كان وزيرا للمالية، انتخب فرناندو أنريكي كاردوسو (*Fernando Henrique Cardoso*) رئيسا للبرازيل لعهدتين، *1995-2003*. رأس الجمعية الدولية لعلم الاجتماع (*1982-1986*) أواخر الحكم الدكتاتوري البرازيلي. حينها، كان بعدُ عالم اجتماع مشهورا عالميا بعمله الرائد حول التفاعل بين التبعية والتنمية في أمريكا اللاتينية. كانت أطروحته للدكتوراه عملا كلاسيكيا حول العبودية في جنوب البرازيل. يعتمد الحوار التالي على ملاحظات كان قد أبداها خلال الاجتماع الختامي لاجتماعات الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع سنة *2004* عاما بعد مغادرته مكتب رئاسة البرازيل.

مايكل بوروواي (م.ب): الرئيس كاردوسو كيف كيّفتْ هويّتُك بوصفك عالمَ اجتماعٍ تجربتَك رئيسا لا لبلد صغير بل لبلد بحجم البرازيل الهائل؟

فرناندو أنريكي كاردوسو (ف.أ.ك): أقول أنني أعتقد أن ما هو مهمّ في الحياة السياسية، تماما مثلما هو الحال في العمل الاكاديمي، هو الإيمان بشيء ما. ما لم تكن لك رؤية، ما لم تتخذ موقفا فمن المستحيل أن تترك بصمة على جماعة ما أو على بلد ما. عليك بأن تتبنى قناعات. من المحتمل أن يكون هذا مناقضا لما قيل على الدوام حول "رجل السياسة". قرأتُ، ولا شك كما فعلت أنت، ماكس فيبر (Weber) وهو يقيم تمييزا بين إيتيقا الاعتقاد وإيتيقا المسؤولية، ولكنه لم يميّز واحدة منهما بوصفها مرشدة للعمل السياسي، بل هو، عوضا عن ذلك، أخذهما كليهما بنظر الاعتبار . لقد كان هو ذاته نائبا ألمانيا وقوميا بامتياز، وعلى ذلك كان ذا قِيَمٍ .

إذا كنت ذا قناعة وكنت قادرا على التعبير في الوقت المناسب، أي عندما يواتي زمنك السياسي حساسية الجمهور، صار بإمكانك أن تصير قائدا سياسا. من دون هذه القدرة يكون الأمر مستحيلا. يمكن أن تُنتخب ولكن من دون قناعة، من دون قناعات عميقة، لا يمكنك أن تكون قائد ا سياسيا. في حالتي، أودّ أن أؤكد على أن ما حرك جيلي لم يكن ولعنا بالتنمية الاقتصادية وإن كان موجودا لدينا. كانت الديمقراطية هي محط تعلّقنا الأكبر .

عندها، وعندما انخرطت مباشرة في السياسة كنا لا نزال نحيا تحت نظام تسلّطي. كنا نعاني يوميا من غياب الديمقراطية، كان بإمكان المرء أن يرى أناسا يهجّرون أو يسجنون أو يعذّبون وكانت تلك هي أهمّ محفزات التزامنا. كان ذلك يعني إعادة تأكيد عقيدتنا الديمقراطية، قناعاتنا الديمقراطية .

م.ب. الديمقراطية لفظ فضفاض ومهترئ، ما الذي يعنيه لك أنت؟

ف. أ. ك: للديمقراطية تنويعات مختلفة لذات القيمة في تشكلات مختلفة. في عالم اليوم ليست الديمقراطية مجرد استطاعة الانخراط في حزب سياسي أو حياة انتخابية. عليّ القول إنني لم أكن يوما عضوا حزبيا بالمعنى الحرفي ولا متنفذا حزبيا (apparatchik) وأكره هؤلاء. قلت خلال حملة الترشيح لمجلس الشيوخ في خطاب ألقيته في قاعة مليئة بأعضاء حزبي الذين عارضوا الدكتاتورية، إن المناضلين يُضْجِرون الشعب. ليس بإمكان المرء أن ينظر للسياسة من مجرد منظور الأحزاب. أعتقد أن المهم اليوم هو امتلاك القدرة على الاتصال بالعدد الأكبر من قطاعات المجتمع عامّة وعلى التعبير عن القِيم التي توافق مزاج الشعب العام .

>>

رسم توضيحي بريشة أربو

وعليه، كوْن المرء "رجل سياسة" فاعلا يتطلب قدرة ما على الاجتذاب وعلى الاتصال وعلى توليد الانفعالات. عليك أن تكون ممثلا إلى حدّ ما، في المعنى الحسن للّفظ، لا على أنك تلعب دورا في المسرح. ليس الأمر كذلك. عليك أن تمتلك القدرة على التواصل وعلى الإحساس بالانفعال وعلى إنفاذ الأفعال. ربما صرت قائدا سياسيا لأنني أحب الشعب. عندما صرت رئيسا حاولت أن أكون على علاقة بالناس العاديين. ينزع الرؤساء للبقاء بعيدين عن الناس البسطاء عموما. ولكن للرئيس خدمن أناس يعتنون بنا حتى عندما نكون في حمامات السباحة، ولنا سواق، وأعوان حراسة وهؤلاء الناس يحيطون بالرئيس على مدار الساعة ولا السياسيون أو المنتمون إلى الطبقات العليا فحسب. حاولت أن أتحدث معهم وأن أنقل لهم الشعور بأن بإمكانهم التكلم معي بوصفي إنسانا، لا رئيسا. وحاولت أن أستمع إليهم في ما يشعورن به حقا حيال العديد من الأشياء. أعتقد أن ليس المهم اليوم أن تكون ممثّلا في معنى أن تكون بهلوانيا بل أن تكون ذا قدرة على إنفاذ الأعمال عبر تمرير الانفعال الذي يظهر أنك منخرط حقيقة في ما تعبر عنه. يتطلب هذا أيضا عدم افتقاد الإحساس بأنك بشر .

م.ب. وعلم الاجتماع، ألم يساعدك على أن تكون إنسانيا؟

ف.إ.ك. علم الاجتماع ذو مساعدة كبيرة. اعتاد مُزَاحِمي في البرازيل، أي خصومي، القول: "هذا رجل لم يعرف الفقر طوال حياته. هم يتكلم الفرنسية بطلاقة أكثر من طلاقته في البرتغالية". كانوا يقولون مثل هذه الأشياء للحط من شأني لا غير. ولكنهم أخطأوا المرمى، فقد كنت تعلمت درسا من كوني استاذا في بلدان أجنبية إذ كان عليّ أن أتحدث بتبسيط ومباشرة أكثر مما كان يفعل المثقفون العاديو ن.

أذكر أنني بدأت، في منفاي من الدكتاتورية العسكرية، ألقي دروسا في الشيلي. البرتغالية والإسبانية قريبتان قربا كبيرا من بعضهما ولكنهما ليستا اللسان ذاته. البرازيليون يفهمون الإسبانية ولكن متكلمي الإسبانية لا يفهمون البرتغالية بالمقابل. كان الشيليون يحتجّون لدى نطقي أية لفظة بالبرتغالية. كان عليّ إذا أن أتجنب الألفاظ الصعبة وأن أبسّط.

كما أنه كان من المهم بالنسبة لي بوصفي عالم اجتماع، وأنت ذاتك قد تدربت على ذلك، أن أكون على صلة بالناس. وعندما كانت المعارضة تقول "ليس لهذا الرجل قدرة على الارتباط بالفقراء أو ببسطاء الناس" كنت أبتسم لأنني كنت بدأت مساري عالم اجتماع عائشا مع السود ومعالجا للعلاقات العرقية. كنت قد زرت العديد من أحياء الأكواخ والقصدير والمساكن المعدمة في جنوب البرازيل. لاحقا أجريت بحوثا مع العمال ثم انتقلت لدراسة المقاولين ولكنني بدأت مساري في اتصال مباشر بالناس البسطاء ولذلك لم ألاق أبدا مصاعب في التعامل مع الشعب .

كنت كذلك قد تابعت دروسا في الأنثروبولوجيا، والواقع أننا درسنا الاختصاصات الثلاثة مجتمعة: علم الاجتماع، الاقتصاد والأنتروبولوجيا. أنت تعلم كيف هم الأنتروبولوجيون، وزوجتي كانت واحدة منهم. إنهم ينظرون إلى أشياء مخصوصة جدا، وهو يرغبون في الحديث مع أي كان ويسجلون الملاحظات مسلّطين تفكيرهم على تغيرات السلوك الصغيرة. من المهم بالنسبة إلى السياسي امتلاك القدرة على فهم الآخرين وعلى التخاطب معهم. يرفع ذلك من قدرته على التأثير في الآخرين طالما كانت له القدرة على أن يكون ممثلا في المعنى الذي أكدت عليه سابقا: أي التعبير عن المشاعر الصادقة بطريقة صادقة حساسة .

م.ب. ولكن، يمكن لعلم الاجتماع أن يمثل عائقا أيضا؟

ف.إ.ك. نعم بالفعل. أذكر أنني عندما كنت معدوم الخبرة بدأت أوّل حملاتي السياسية على طريق الفوز بمقعد في مجلس الشيوخ. القيام بحملة انتخابية في البرازيل يعني الاتصال بالناس وهم يتشبثون بك بأقصى القوة. في نهاية اليوم تكون متعبا تعبا بالغا وقد امتلأت حماسة. الحملة السياسية، في البرازيل على الأقل، تبادل جسدي، من الناس وإليهم. ليس الأمر مجرد كلام، عليك أن تلامس الناس وأن تكون قريبا منهم ويتطلب ذلك بعض التدريب وعليه لم يكن الأمر سهلا عندما بد أت.

ولكن الكلام مهم بالتاكيد وليس من السهل على جامعي أن يتحدث إلى

<<

إلى الجموع. عليك أن تبسّط وأن تكون حاسما في آن معا. عليك ألاّ تسعى إلى استعراض بيانات كبرى لأن الناس لا يحبون ذلك. ليس من اليسير على جامعي أن يتأقلم مع هذا. أذكر أنني في البداية حاولت أن ألقي خطابا مختلفا في كل اجتماع تحدثت فيه. ولا تنسى أننا في الحملة السياسية نعقد ثماني أو حتى عشر اجتماعات في اليوم الواحد. كنت أخجل لتكراري نفس الافكار ولذلك حاولت أن أتخيل قصصا مختلفة لكل جمهور مستمع، وكانت تلك كارثةً. بما أن لا أحد يلتقط حقا ما تريد الإقناع به فعليك أن تكرر نفسك مرارا وتكرارا، عليك أن تبسّط وأن تعيد، وليس من اليسير في مثل هذه الحالة إذا أن تكون سياسيا وعالم اجتما ع.

ولكن عندما ننتقل من هذه الظروف إلى التليفزيون نمتلك سبقا هائلا. في أوّل حملاتي الانتخابية نحو مقعد في مجلس الشيوخ لتمثيل ولاية ساو باولو أيام كانت البرازيل لا تزال تحت الحكم العسكري وكنا ندير حملتنا ضده زرت شبكة تليفزيونية من أجل التجادل مع خصمي. كنت أكثر هدوءا طوال المجادلة وقد كان ذلك لأنني كما لو كنت أحاول أن أعطي درسا أو شيئا من هذا القبيل. عندما عدت للمنزل كان أصدقائي في يأس تام. مستحيل، قالوا لي، ليست لديك الطاقة ولم تمرّر المشاعر التي على السياسي أن يعبر عنها. ولكن الوقع الحقيقي لدى الجمهور كان النقيض تماما لهذا التحليل المتشائم، ذلك أن التليفزيون أكثر تطلبا لنوع من الحوار، محادثة أكثر حميمية من الخطابات الجماهيرية في التجمعات وإذا يكون لنا السبق المضاعف لكوننا علماء اجتماع وسياسيين خبروا الحوارات المباشرة مع الطلبة. ليس عسيرا علينا أن نجيد استثمار التليفزيون في الحياة السياسية. يكفي أن تضطلع بدور الأستاذ الجيد معبّرا عن أفكارك مبسّطا إياها وبطريقة مقنعة .

م.ب. كيف تصرفت وأنت رئيس مع الأحزاب السياسية؟

ف. إ. ك. في حالة البرازيل، كما أسلفت القول، المهم حقيقةً هو القدرة التي تكون لدى القادة على تقديم نظرة للأمة لا للأحزاب. على القائد أن يقنع غالبية الشعب حتى إن تتطلب الأمر تجاوز الأحزاب السياسية .

تنزع الأحزاب في الكثير من الأحيان إلى عرقلة التغيير بدل دفعه. هي ليس مهيّأة للتعامل مع التجديد ويكون عليك إذا أن تتجاوز البنية الحزبية. عليك في الآن ذاته أن تقبل عقلا بأنك مرتهن للبنية السياسية حتى تنجح. يعني ذلك أنه ليس بإمكانك أن تضادها. إذا ما اندفعت في نزاع مباشر مع النظام السياسي تخاطر بالانتهاء إلى أن تصير نوعا من الدكتاتور وأن تلوث سمعتك. يمكنك أن توجه الجماهير وأن تجنّدها ضد المجلس. إذا ما استعملت التليفزيون لا يكون ذلك عسيرا ولكن هذه الطريق تؤدي إلى الدكتاتورية. عليك أن تكون صريح العقيدة الديمقراطية وأن لا توجه الجماهير ضد البرلمان لأن هذا يمكن أن يكون معرقلا للتغييرات التي تسعى لإحداثها. عليك أن تكون على أهبة دائمة للتفاوض مع المجلس. هاهنا أيضا تكون لمن تدرب على أن يكون عالم اجتماع بعض المزايا إذ يمكنه أن يفهم ما المصالح الحقيقية التي عليه اعتبارها لا بالنظر إلى مختلف المجموعات والدوائر أو حتى الأشخاص في كل حزب. وعلى رأس كل هذا، وهو الأهم، الاحتفاظ بتركيز النظر على المصلحة العمومية.

م.ب. حصلت على نصيبك المجزي من الأزمات في وطنك. ما الذي يمكن أن تقوله حيال الأزمات؟

ف. إ. ك: عليك أن تديم الاحتفاظ ببرودة الأعصاب أوقات الأزمات، زمن المضاربات الكبرى في النظام المالي الدولي مثلا، وأن تصر على وجهتك وإلا صار كل شيء قابلا للانهيار وهو ما يمكن أن يتسبب في غرقك أنت وحكومتك. إذا ما كانت لك القدرة على فهم الصورة الشاملة أوقات الأزمات فإن ذلك يساعدك على الإبقاء على برودة الأعصاب. عليك أن تمتلك القدرة على الفعل في مستويات مختلفة، قريبا من الشعب في بعض الأحيان، مع التغاضي بحيث لا ترتطم السفينة بالصخر بل تمدها بخارطة طريق وتتجه الوجهة التي حددتها لنفسك. في مثل هذه الأوقات يتمثل الواجب الأول لرأس الدولة في الحفاظ على مصالح الوطن بعيدة المدى والتي من دونها يمكن أن يحدث الانهيار. فإذا ما حصل ذلك، تستغرق إعادة بناء النظام بأكمله وقتا طويلا ويعني ذلك على الدوام أن الشعب سيدفع في النهاية كلفة اجتماعية باهضة. وذاك هو مرد أهمية امتلاك القدرة على الإبحار عندما تكون الريح مواتية واقتناص الفرصة والمضي إلى الأمام. يجعلك ذلك أيضا أقوى في معالجة الأوقات العصيبة عندما يكون أقصى ما يتوجب عليك التوقي منه هو تحلّل النظام برمته .

إلى أي مدى يرتبط هذا بما تدربت عليه في علم الاجتماع؟ دعني أقل إنّ ذلك يكون لمدى بعيد. من المؤكّد أن ثمّة العديد من الخاصيّات الأخرى ذات الارتباط بالحياة الشخصية وبأنواع أخرى من القدرات. ولكني أقول إن في الأساس من ذلك ما تدربنا عليه في علم الاجتماع وهو يكسبنا أفقا أرحب ويمنحنا القدرة على فهم التفاعل ما بين مختلف المجموعات وكذا نوعا من الإحساس بالنسبية والاقتناع بأن ما من أحد يحتكر الحقيقة أو الطريقة المثلى في الفعل .

م.ب. هل لك أن تدلي بأفكار سوسيولوجية ختامية حول المسار السياسي؟

ف.إ.ك: في اعتباري يتطلب المسار السياسي في الديمقراطية المعاصرة سيرا دائما نحو التداول. إذا ما عدتُ إلى فكرة جان جاك روسو حول الإرادة الجماعية قلتُ أن هذه الإرادة في ايامنا هذه يعاد تحديدها كل يوم ومن قبل أيّ كان في المجتمع. علينا فتح الفضاء حتى يكون ذلك، بحيث ينخرط أناس أكثر فأكثر عددا في مسار التداول. لم يعد الناس يقبلون التمثيل بواسطة التصويت. ليست الشرعية اليوم مرتبطة بالتصويت فحسب إنها تتطلب تأكيدا وإعادة تأكيد دائمين للقيم وللقضية التي تهتم بها وتناضل من أجلها .
حصلتُ في العديد من المرات على ملايين الأصوات وانتخبتُ مرّتين للرئاسة مدعوما بأكثر من خمسين في المائة من جمهور الناخبين. ولكن هذا التفويض الرائع ليس كافيا. عليك أن تعيد بناء شرعيتك وتؤكّدها يوميا. يكون الأمر كما لو كنت تعيد الانطلاق من نقطته كل يوم. أولئك الذين يعتقدون أنهم غنموا ثقة الجمهور مرة وإلى الأبد يخادعون أنفسهم. عليك أن تحافظ على تلك الثقة وأن تجدّدها باستمرار عبر إعادة تأكيد القيم التي تقود فعلك .
على ذلك لن أبذل لك إلا نصيحة واحدة: لا تخض غمار السياسة. إنها بالغة الخطورة. ■

نذر علم الاجتماع

في اعتناق النسوية في اليابان

بقلم شيزوكو أوينو (Chizuko Ueno)، جامعة طوكيو، اليابان

شيزوكو أوينو

شيزوكو أوينو عالمة الاجتماع اليابانية المرموقة والناقدة النسوية والمثقفة العمومية كانت رائدة في مجال الدراسات النسوية وصاغت العديد من الكتب منها "البطريركية والرأسمالية" (1990)، "نهوض العائلة اليابانية الحديثة وسقوطها" (1994، ترجم إلى الإنجليزية سنة 2004)، "القومية والجندر" (1989، ترجم إلى الإنجليزية سنة 2009)، "الآلة الإيروسية" (1989)، "سياسات الاختلاف" (2002)، "فكر للبقاء" (Thought for Survival 2009)، "بغض النساء في اليابان" (Misogyny in Japan، 2010)، "علم اجتماع مسؤول" (Sociology of Care، 2001). التزامها بالنشاط النسوي قديم وهي اليوم رئيسة المنظمة غير الربحية المرموقةWomen's Action Network (http://wan.or.jp/).. يمكن الاطلاع على رسالتها المعنونة "أربعون سنة من النسوية اليابانية" على الرابط http://worldwide-wan.blogspot.jp/ حيث تعرض ميزان مكاسب المرأة اليابانية وخسائرها على امتداد الأربعين سنة الماضية.

اللفظ "عالم اجتماع" مناسب للتعريف الذاتي. باسم علم الاجتماع يمكن لي أن أعتبر أن كل واحد من أنشطتي اليومية موضوع للبحث بدءا من قراءة الطُّرف وصولا إلى استراق السمع لحديث ركّاب الحافلة. بوصفي عالمة اجتماع طورت نوعا من الريبة العميقة تجاه المجتمع الذي فيه أحيا. لا أدري إن كان موقفي المتشكك هو الذي جعلني عالمة اجتماع أم مروري بالتدريب من أجل أن أصير كذلك هو ما جعلني مشكاكة. كل ما أعرفه أن التطبّع السوسيولوجي يؤدي بالمرء إلى أن ينظر حواليه في ما هو خاطئ وسقيم وعبثي وغريب ولاعقلاني. في المقابل كثيرا ما يرى الناس أن علماء الاجتماع غير أسوياء ومغفلون وغريبون. جهزني ذلك التطبع جيدا للدراسات النسوية ذلك أن العالم المُجَنْدَرَ مليء بالسقم والحمق والغرابة واللاعقلانية. أذكر أنني اعتدت، وأنا شابة، القول "ما يعتبر غير معتاد اليوم

>>

سينقلب إلى مألوف غدًا". منظورا إليها من منظور جندري، تحققت نبوءتي تلك بطرق مختلفة .

كنت، منذ حوالي الأربعين سنة، خلال السنوات 1970 طالبة جامعية، وكانت الجماعة الأكاديمية لاتزال جماعة رجالية، النسوة منها مقصيات. انخرط الرجال والنساء معا في الحركة الطلابية ولكنها انقلبت إلى خيبة أمل حادة بالنسبة إليهن. كان النشاط النضالي الطلابي لعبة رجالية لا نسوية، وكان الرفاق الرجال الطليعيون بنفس قدر التحيّز الجنسي الذي كان عليه المحافظو ن.

بعد تقهقر النشاط النضالي الطلابي ذهبت إلى معهد علم الاجتماع ولكن هربا من العالم الواقعي من دون أي طموح اكاديمي. هناك لاقيت الدراسات النسوية التي كانت قد أُدخلت للتو من الولايات المتحدة. كانت تلك تجربة فاتحة للبصيرة وهناك تعلمت أنه من المناسب تماما أن أدرس ذاتي. كنت أصارع السؤال حول هويتي (من أكون؟) وفيم كانت كينونتي النسائية قضية مركزية؟ كنت محظوظة ولم أكن الوحيدة التي كانت تفكر بهذه الطريقة .

أنا فخورة لكوني كنت رائدة الدراسات النسوية في اليابان حيث لم تكن موجودة قبل بدئنا بها. أساتذة الدراسات النسوية من جيلي عصاميات، كوّنا مجموعة بحث وتعلمنا من بعضنا ونشرنا الدوريات وحاولنا الوصول إلى قرائنا. بوصفي عالمة اجتماع شابة ضجرة من علم الاجتماع الذي كان قائما آنذاك، كنت قد وَفَدْتُ من موضوع بحوثي الخاص حول الجندر والجنسانية والذي كنت منخرطة فيه بعمق وكنت بالكاد أتمكن من الكتابة فيه من دون شعور انفعالي أو غضب .

وُلدت الدراسات النسوية وترعرعت في اليابان خارج المجال الاكاديمي. لم نكن في البداية نأمل في الحصول على خطط تدريسية وتمويلات بحث وانخراطات في المجلات العلمية الموكولة بالنشر العلمي بحث ابتدعنا كل شيء على عين المكان. لم تكن الدراسات النسوية تحوز على الاعتراف بوصفها اختصاصا علميا جادا، ولكن وفي غضون عشرة أعوام بدأت، خلال السنوات 1980، بعض المجلات الأكاديمية الاستشهاد ببعض ما يرد في دورياتنا. وفي غضون عشرين عاما، خلال السنوات 1990 منحتُ خطة تدريسية في دراسات الجندر والجيل في جامعة طوكيو المعتبرة أذيع الجامعات اليابانية صيتا. هناك كان بإمكان طلابي أن يختاروا بحرية مواضيع بحوثهم كأن تكون تمثيل المرأة في شرائط الفتيات الفكاهية، جماعات اللواطيين والسحاقيات، البنية الخطابية لمواقع الأمهات من دون قرين، وتاريخ الاستمناء. باتباعهم مثل هذه المواضيع كانوا أحرارا في صياغة بحوث تخرجهم أو مذكرات الماجستير وحتى رسائل الدكتوراه وإن لزم القول أن مساراتهم الأكاديمية المستقبلية غير مضمونة .

ساعدني علم الاجتماع على تطوير الدراسات النسوية. مستعدية عبارة الكاتبة ما بعد الكولونيالية غاياتري سبيفاك (Gayatri Spivak)، كنت كمن " يصارع عدوه بسلاح افتكّه منه". بتأليفي كتاب "البطريركية والرأسمالية" (1990) نجحت في إقناع جمهور القراء من الرجال أن هناك نقصا ما في علاقتهم بالمرأة. قال لي أحد قرائي: "بعد قراءتي كتابك انتهيت إلى رؤية ما الذي كانت زوجتي تشتكي منه". كان عليه، بدلا من ذلك، أن يستمع إلى زوجته أوّلا. ولكن من أجل جعلهم يفهمون مشاكلهم هم ذواتهم لم يكن لنا إلا أن نستخدم اللغة الهيمنية. إن الأمر شبيه بما هو عليه في الوضعية ما بعد الكولونيالية عندما استخدمنا الإنكليزية من أجل البقاء ضمن الجماعة الأكاديمية، حيث كانت العولمة تعني المركزية اللغوية الإنكليزية. تبعا لذلك صرت ثنائية اللسان مستخدمة اللغات الإنكليزية واليابانية، والرجالية والنسائية، والأكاديمية واليومية والمقعّدة والمحلية. إن موقع عالم الاجتماع هو في البين بين حيث لا تزال نظرية كارل مانهايم حول الرجل (المرأة) الهامشي (ة) دائمة الصلاحية .

كانت الدراسات النسوية مكافئة وظيفية للنشاط النضالي النسوي ضمن الجماعة الأكاديمية. وسرعان ما ثار سؤال ما بعد مأسسة الدراسات النسوية. كنا مسؤولين عن ذلك ولكن بأية نتائج؟ هل غيّر تحدّي الدّراسات النسوية مركزية الاختصاصات رجالية التمركز؟ أم تكون قد عدّلت ذاتها حسب الاختصاصات الموجودة عبر مأسستها؟ الأمر شبيه باشتراك المرأة في المؤسسة العسكرية. هل يغيرها اشتراكهن أم أن النسوة يُعَسْكَرْنَ عبر اشتراكهن في المؤسسة؟ ما الذي يكون في البدء؟ من المؤسف القول أن التاريخ يعلّمنا أن الاحتمال الأخير هو الذي يكون أوّلا ذلك أن للمؤسسة القدرة على احتواء المنشقّين عنها .

نحن لا نزال نناضل ضد المبادئ المؤسّسة للاختصاصات الأكاديمية مثل الموضوعية والحيادية والقابلية للاختبار وقابلية الحجج للرد عليها. كيف يمكن لنا من دون أي حكم قيمة أن نعثر على موضوع بحث مناسب؟ كيف لنا أن ندلل على أن شيئا ما مغلوط من دون التزام قيمي؟ كيف لنا أن نتصرف بحيث نواصل البحث بضمائر حية ولا ننتظر من ذلك إلا القليل من المجازاة من دون الأمل في مجتمع مستقبلي ؟

بالغةً سنّ التقاعد وأنا أستاذة متميّزة، لا يسعني إلاّ القول إنني سعدت بأن أكون عالمة اجتماع بحث صار علم الاجتماع جزءا منّي. ■

نذر علم الاجتماع

علم الاجتماع مصير حياة

بقلم فلاديمير يادوف (Vladimir Yadov)، معهد علم الاجتماع، أكاديمية العلوم الروسية، ونائب رئيس ج د ع اج،1994–1990

كان فلاديمير يادوف عالم اجتماع رائدا في الاتحاد السوفياتي عندما كان علم الاجتماع ذا وضعية هشة بوصفه علما "برجوازيا". في جامعة لينين غراد كان شخصا ذا مكانة مركزية في بعث أول مخبر علم اجتماع خلال السنوات 1960 متبوعا بعمله الإنساني وبأول كتاب نصوص في المنهجية عرّف المهنة الجديدة. طور نظرية اجتماعية نفسية حول التعديل الذاتي للسلوك وانتخب في قيادة الجمعية الأوروبية لعلم النفس الاجتماعي التجريبي. في روسيا ما بعد السوفياتية، صار مدير معهد علم الاجتماع في أكاديمية العلوم الروسية مطورا مقاربة في علم الاجتماع متعددة البارادیغمات. كان لسنوات عديدة سفيرا لعلم الاجتماع الروسي في الخارج وكان في ما بين 1990 و 1994 نائب رئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتماع. هو الآن قائد جناح علماء الاجتماع الروس الليبراليين الديمقراطيين المعارض لصعود المحافظة. هو محبوب العديد من الطلاب الذين درّبهم منذ بدايات علم الاجتماع الروسي حتى الآن.

ف ميري يادوف

صرت عالم اجتماع في بداية السنوات 1960، واليوم، عندما حلت ساعة تلخيص حصاد رحلة العمر، أشعر أنني كنت محظوظا جدا إذ حدث ذلك لي. للعديد من السنوات وَصَمَ الإعلام الرسمي في الاتحاد السوفياتي علم الاجتماع بكونه "علما برجوازيا مزعوما". ولكن وبعد أن انحل نظام ستالين في أواخر السنوات 1950، كانت لنا فترة من الليبرالية النسبية. عملنا أنا وزملائي على تركيز مخبر سوسيولوجي في جامعة لينين غراد وفي نفس الوقت تم تأسيس قسم سوسيولوجي لدراسة أشكال العمل والترفيه الجديدة في معهد الفلسفة التابع لأكاديمية علوم اتحاد الجمهوريات

السوفياتية. كان ذلك على نحو ما بداية حركة سوسيولوجية، وكان لكل رواد علم الاجتماع خلفيات دراسية مختلفة وكان عليهم أن يتعلموا مهنة جديدة بوصفهم طلابا من خارج أسوار الجامعة أو كما كنا نقول عنهم "متعلمين عن بعد" انطلاقا من كتب نصوص أغلبها بالإنكليزية كان يعسر الحصول عليها بحيث كانت توزّع على صيغة samizdat، أي نسخ كربونية تحمل ترجماتها مطبوعة على أوراق سجائر .

كان التواصل مع علماء الاجتماع من بولونيا حيث كانت مهنة علم الاجتماع راسخة بوصفها اختصاصا أكاديميا، حيويا على الرغم من الستار الحديدي. وكانت مشاريع البحوث المشتركة تنجز ضمن إطار التعاون ما بين بلدان أوروبا الشرقية. كنت محظوظا بالتواصل المقرب مع يان شيبانسكي (Jan Szczepański) فيما درسني زيغمونت باومن (Zygmunt Bauman) وبذل ستيفان نواك (Stefan Nowak) الساعات الطوال مفسرا لي تلوينات البحث الميداني. واليوم وأنا عميد قسم علم الاجتماع في جامعة العلوم الإنسانية التابعة لأكاديمية العلوم الروسية أواصل العمل عن قرب مع قسم علم الاجتماع في جامعة وارسو حيث ورث كريستوف كوسيلا (Kosela) تقاليد مدرِّبِه ستيفان نواك. إن عادة التعاون المهني بين أفراد الجيل القديم تمرر للأجيال اللاحقة .

سنة 1958 سمحت لنا السلطات السوفياتية بتأسيس جمعية علم الاجتماع السوفياتية وإن تحت رقابة إيديولوجية صارمة وكان ذلك يعني التنصيص على أن المادية التاريخية هي أساس علم الاجتما ع الماركسي. كان القرار الحكومي الذي أسس الجمعية يطالب أعضاءها بتطوير محاسن علم الاجتماع الماركسي في المؤتمرات الدولية. وبطريقة أو بأخرى دَفَعَ اشتراك علماء اجتماع شبان في مؤتمرات الجمعية الدولية لعلم الاجتماع بصلات مهنية جديدة وتأسّست علاقات صداقة بين علماء الاجتماع السوفيات وزملائهم من بلدان أخر ى.

علم الاجتماع اختصاصا جامعيا مألوف في روسيا اليوم. ولكن، وللأسف ليس يشعر علماء الاجتماع بالتضامن المهني، وتنقسم الجماعة السوسيولوجية على جمعيات مستقلة عن بعضها البعض. إن واحدا من تمظهرات "الرجة الثقافية" لما بعد الحقبة السوفياتية، كما أوضح ذلك بيوتر ستومبكا (Piotr Sztompka)، هو الاستقطاب حول تقويم علم الاجتماع السوفياتي وما بعد السوفياتي. وقد كانت المناقشات الجدالية التي ثارت حول ما نشره فيكتور فاخشتاين (Viktor Vakhshtayn) أبلغ تجسيد لذلك .

إن الآفات الاجتماعية مثل الفساد والنزاع الاثني وأخرى غيرهما هي المواضيع الرائدة اليوم، ولكن المستوى المنهجي حتى في مشاريع البحث الاكاديمي تظل تحت مستوى ما أنجزه بعناية وإتقان أوائل علماء الحقبة الرواد بكثير. واحد من أسباب ذلك هو التسرّب غير المناسب لزملاء موهوبين من الحاصلين على شهائدهم والذين يستنكفون عن تسلم خطط تدريسية متدنية الراتب. في أعين أوسع الجمهور ترتبط مهنة عالم الاجتماع بمنظّم الاستفتاءات فيما العديد من الناس يخلطون بين علماء الاجتماع والصحفيين، فيما يعمد قلة منهم ممن لا يتمتعون بحس المسؤولية إلى "تعديل" المعطيات بحيث تناسب الوضعية أو يصوغون الأسئلة التي تكون إجاباتها مرصودة سلفا .

في أي محيط كان، على عالم الاجتماع أن يتمتع بحسّ من المسؤولية المدنية لا يقل عن حيازته للمعرفة المهنية والتجربة. عندما أتواصل مع الطلاب أحافظ على تفاؤلي. وعلى الرغم من أن النزر القليل منهم يختار هذه المهنة خدمةً للمجتمع فإنني أرتقب في المستقبل العاجل جيلا جديدا يقف على مستوى التاريخ ويمنح لعلم الاجتماع ملمحا مهنيا مستحقا. ■

رحلات مدن الأكواخ

بقلم بيانكا فريري ميديروس (Freire-Medeiros) مؤسسة غيتوليو فارغاس (Getulio Vargas)
في ريو دي جانيرو، البرازيل

سانتا مارتا كما تم ادراكها فنيا من قبل ديو جيُ كولاس ودي أورهان. هذا التصميم الجديد لحي الفقراء الذي أنجزه السكان أنفسهم يجسد مثالا مؤثرا للتدخل الجمالي موجها نظرة اُ لسائحين إلى سانتا مارتا. الصورة من تصوير بيانكا فرير مدوارس.

رحلات مدن الأكواخ في ريو دي حانيرو، سفرات البلدة في كايب تاون وسويتو، سفرات مدائن الأكواخ في مومباي ومانيلا وجاكرتا والقاهرة ونيروبي. منذ بداية السنوات 1990، في سياق الاندماج الاقتصادي المتسارع وأنظمة الحوكمة الحضرية النيوليبرالية وثقافات الإعلام المعولمة، تحولت أراضي المدن العملاقة في الجنوب الكوني إلى بضاعة سياحية ذات قيمة مالية يُتّفق عليها بين العارضين والمستهلكين.

عشرون بالمائة من سكان ريو دي حانيرو يتألفون من ساكني الأكواخ أي أن قرابة 1.3 مليون شخص يحيون في ما يناهز ألفا من الجماعات بمستويات مختلفة من التحضر ومستوى المعيشة. في الخيال الدولي، وبالتوازي مع الكرنفالات وكرة القدم والنساء المثيرات، صارت مدن الأكواخ تلك جزءا لا يتجزأ من صورة البرازيل النمطية . في الخيال البرازيلي، وكما تُظهره

في سانتا مارتا تلتقي الكاميرا السياحة الدولية ملك البوب كما تم رسمه من قبل الرسام البرازيلي المشهور روميرو بريتو. الصورة تم أخذها من قبل بيانكا فرير مدوارس.

العديد من المؤلفات، تحولت مدن الأكواخ إلى حقيقة خطابية ومادية مركزية عليها تنعكس القضايا الكبرى مثل انعدام المساواة والعنف والمواطنة وتناقش وتعالج من قبل العديد من الفاعلين الاجتماعيين. في سياق ذلك ظهرت "رحلات مدن الأكواخ" فضاءا للخيال وكيانا متحركا. بوصفها بضاعة وعلامة تجارية هي تستعمل للإشهار للحملات ذات المنتجات بالغة التنوع بدءا من سيارات السيتروان والنيسان وصولا إلى تجهيزات إيكيا في مطاعم البهارات المثيرة وأجنحة العرض والنوادي على امتداد العالم. بوصفها وجهة سياحية هي من جهة جزء من المسرودات والممارسات المعولمة التي تعيد تعريف الفقر بوصفه موضوع استهلاك وهي من ناحية أخرى جزء من انتشار ما يسمّى برحلات الواقع التي تَعِدُ باتّصال مع المناطق المهمّشة مباشر وآمن يتم تحت الحراسة المشددة لطاقم محترف من المستخدمين مضفًى عليها طابع مثالي بوصفها المقابل الكامل للعالم الذي يأتي منه السائحون.

في البرازيل، تجاهلت السلط في الأول بل نقدت بصراحة وجود موجات متعاظمة من السياحة تتجه إلى مناطق كانت دائمة السعي لإخفائها. وفي الأثناء حاججت النخبة بأن سياحة الأكواخ نشاط دنيء يصم صورة الأمة ويورط الفقراء في عرض يشبه عروض حدائق الحيوانات. ولكن، يقوم الآن العديد من الفاعلين الاجتماعيين والمؤسسات بإعادة ابتداع رحلات مدن الأكواخ متّبعين مبادئ الإشهار التسويقي للمدن والمبادرة الحضرية استعدادا لكأس العالم الذي تنظمه الفيفا (2014) وللألعاب الأولمبية (2016). حدثان أيقونيان وإن كانت تفصلهما خمسة عشر سنة يعيناننا على فهم كيفية حصول هذا التحول ذي الدلالة، وكذا فهم ما يتم يوميا من دعم له.

>>

يناير (جانفي) 1996

حلّ مايكل جاكسون بالبرازيل لتصوير شريط فيدو لأغنيته "إنهم لا يكترثون بنا" (They Don't Care About Us) الذي أخرجه سبايك لي. كانت مدينة الأكواخ سانتا مارتا في جنوب ريو دي جانيرو المزدحم واحدا من المواقع التي اختيرت للفيديو، وأظهرت الفرق بين السلطات والنخب في مواقفهم تجاه الفقر الحضري. فبينما احتفلت ساكنة سانتا مارتا بالحدث ردت السلطات باستهجان وتحدّى حاكم ريو دي جانيرو وقتها مارسيلو آلنكار جاكسون بأن يظهر فعليا نواياه الحسنة بأن يساعد مدينة الأكواخ ماديا. واعتبر نجم كرة القدم السابق ووزير الرياضة بيلي أن ذلك سيلحق الضرر بحظوظ البرازيل في استضافة أولمبياد 2004 .

ارتفعت درجة الحرارة السياسية عندما قالت صحف ريو دي جانيرو أن ثمن استئجار 50 ساكنا وتشغيلهم في الحراسة طوال فترة التصوير نوقش بين سبايك لي ومارسنهو ف.ب ملك مخدرات سانتا مارتا. وطالب محامو المدينة بإيقاف التصوير محاججين بأن ضررا حقيقيا قد لحق الصناعة السياحية فيما وصف سبايك لي البرازيل بأنها جمهورية موز معمّقا لدى المسؤولين الرسميين شعورهم بخدش كبريائهم.

آغسطس (أوت) 2010

استقبلت مدينة الأكواخ سانتا مرتا رئيس تلك الفترة لولا وحاكم ولاية ريو دي جانيرو سيرجيو كابرال وعمدة المدينة إدواردو بايس من أجل الإطلاق الفرجوي لبرنامج سفرات تحت اسم Rio Top Tour . كان البرنامج الذي تم بدعم من وزارة السياحة البرازيلية واحدا من النشاطات التي وقعت تحت مظلة الوحدات البوليسية للتهدئة (UPP) .

قدم الرئيس لولا البرنامج على أنه يوفر الطاقة السياحية الأعلى للمدن التي تتم تهدئتها عبر إدماج السكان ذواتهم، وعلى أثر ذلك تحصل المدن على دعم حكومي من أجل إنجاز مشاريعها السياحية. في مشهد ساخر إلى حد بعيد جرى الحدث في نفس المكان الذي صوّر فيه مايكل جاكسون فيديو أغنيته وحيث ينتصب الآن تمثال لملك البوب تحيط به أكواخ هشة ومنظر جميل مطل على المحيط وهو الموقع الذي بات نقطة جذب سياحية كبرى في سانتا مارتا.

أيار (ماي) 2013

بينما أكتب نصي هذا انطلق مسار تعيير تسويقي (market qualification) لمدن الأكواخ لا في سانتا مرتا فحسب بل في العديد من مدن الأكواخ التي تمت تهدئتها، وهو مسار تدعهم الحكومة وأوسع قطاعات المجتمع المدني بمن في ذلك بعض من القيادات المنحدرة من داخل تلك المدن ذاتها. لا تشتغل الأشكال الحكومية على حد تعبير ميشال فوكو (Michel FOUCAULT) عبر القهر الخارجي بل بالضبط عبر منح الحرية والاستقلالية لساكنة مدينة الأكواخ الذين ينظر إليهم الآن على أنهم مبادرون سياحيو ن.

إذا ما استخدمنا تعبيرات بولتانسكي (Boltanski) تقاس الآن المزية (worthiness) الخاصة بأية مدينة أكواخ بفعالية الخدمات التي يمكن أن تهبها للسائحين عبر تشغيل الساكنة بوصفهم مضيفين وبقدرتها على تقديم ما هو منتظر من مدينة أكواخ حقيقية أي الفقر وبعضا من مستويات الفوضى والعنف المحسوب والمرح. باعتبار هذا المنطق، يُقيّم السائحون كذلك تبعا لقدراتهم الإنفاقية حيث يعتبرون مستهلكين يساهمون عبر حضورهم ومقتنياتهم المتنوعة، مثل التذاكر والتذكارات والمشروبات والمآكل، في التنمية الاجتماعية الاقتصادية لمدينة الأكو اخ.

من المهم الإشارة إلى أننا نشهد هاهنا نوعا من تراجع فعل الدولة. فيما تجري سفرات الأكواخ نحو المدن الفقيرة عبر أنحاء العالم بموافقة الحكومات، تبقى نماذج الحراك داخل فضاءات مدن الأكواخ المهداة وغير المهداة تحت المراقبة المشددة ومضبوطة عن طريق أجهزة السلطة القانونية وغير القانونية. ما نراه إذا هو إعادة صياغة للاستراتيجيات والتكتيكات والإجراءات المعدِّلة لكيفية التصرف في الأراضي التي تغمرها السوق أكثر فأكثر.

ما وراء كارثة صناعة النسيج في بنغلاديش

بقلم ماليكا شاكيا (Mallika Shakya)، الجامعة الآسيوية الجنوبية، دلهي، الهند

سقطت ضحيتان نتيجة لإنهيار مصنع للملابس في سفار, قرب دكا, بنغلادش. تم أخذ الصورة من قبل تاسليما أختار.

>>

بعد أن دخلت استخدام الألياف البصرية حيث التنفيذ أصبحت الأطر التجارية خاضعة لدرجة كبيرة من التنافس لدرجة لم يسبق لها مثيل من اللايقين المتعلق بصناعة الملابس.

قتل انهيار مبنى مصنع في سافار ببنغلاديش خلال شهر نيسان أفريل من سنة 2013 أكثر من 1100 عامل نسيج. وعلى الرغم من الصدمة التي عمت لم يُقل إلى حد الآن إلا النزر القليل حول التشديد على أنظمة الاستغلال التي سمحت بوقوع كارثة بهذا الحجم .

ذوو الألفة مع التاريخ المتوتر لصناعة النسيج يعلمون أنها صناعة اعتادت الحوادث، وأن كارثة بنغلاديش كان يمكن أن تحدث في أي مكان في آسيا أو أفريقيا. على ذلك، تباطأ حتى العمال ونقاباتهم في ردة فعلهم حينما انهار مبنى رانا بلازا (Rana Plaza) في بنغلاديش. وبدلا من ذلك كانت ردة الفعل الأعلى صوتا تلك التي صدرت عن بائعي منتوجات النسيج بالجملة ومستهلكيها في أوروبا وأمريكا الذين أظهروا شيئا من اللف والدوران في تأويل هذه الكارثة.

التقرير بروح "استشراقية"

"مأساة أخرى كان يمكن تجنبها في بنغلاديش" هو فحوى ما قررت عنه New York Times ونقلته البي بي سي و،Mail ، Globe وReutersوصحف أخرى رفضت ألا تنظر إلى هذه الأزمة إلا من زاوية كونها ضربة حظ عاثر عالمثالثي أخرى ذات صلة برجال الأعمال الجشعين والسياسيين الفاسدين والبيروقراطية عديمة الكفاءة وطوابير الفقراء الطويلة الذين لا عزاء لهم إلا وضع أنفسهم على شفا الموت. كان المنظور الاستشراقي عقلانيا أيضا بحيث يقنع المشترين البرجوازيين بأن الحل يكمن في إيقاف أصحاب المصنع أو في تغريم زبائنهم متعددي الجنسيا ت.

بداية أنحت وسائط الإعلام باللائمة على سهيل رانا صاحب البناية المشؤومة الذي رُوِيَ عنه أنّه قال أنّها كانت آمنة بحيث تستضيف العمال. وبعد أربعة أيام، وبعد أن بلغ عدد المقتولين 400 دفع زبائن تعويضا محتشما للضحايا وبعد أسبوع، وعلى أثر تأكيد خبر موت 700 عامل، هدّد الاتحاد الأوروبي بأن يرفع اسم بنغلاديش من قائمة الممنوحين تحريرا ضريبيا عند تصدير المنسوجات نحو السوق الاوروبية المشتركة. وبعد شهر، وعلى أثر تحاوز عدد القتلى 1100، عدّلت الحكومة البنغالية القانون الوطني للعمل في قطاع النسيج بحيث يسمح بإنشاء نقابات.

وسرعان ما شككت الأمم المتحدة في شرعية معايير البنك الدولي لصناعة النسيج التي نادت بمرونة التشغيل بوصفها شرطا ضروريا للتنافسية الصناعية .

المنظمة النقابية موجودة في قلب كارثة النسيج. لقى أغلب عمال رانا بلازا حتوفهم لأنهم كانوا مجبرين على مواصلة العمل بعد أن تصدعت جدران البناية وتم إخلاء كل مواقع الأعمال الأخرى. لم يكن لعمال النسيج نقابات يقفون بها في وجه مالكي المصنع. ذلك أن صناعة تشغّل 3.5 شخص في دولة حديثة وديمقراطية وتظل على حال من الفوضى تشير بإصبع الاتهام لا إلى الرأسماليين الكونيين والمحليين الذي يشرفون على هذه الصناعة فحسب بل وكذلك إلى مطوّريها الذين يعدلون مساراتها. لمنظمات الدعم الدولية حضور مهيمن في تصنيع العالم الثالث

وقد تواطأت في جعل العمال غير مرئيين في الصورة كما يظهر ذلك في معايير الصناعة (Doing Business) التي أصدرها البنك الدولي ونظام ILO لمدونة التصرف الدولي اللذين ادعيا أن إنتاجية العمل وسلامته تكون أفضل إذا ما تم الحفاظ عليها بين أيدي الرأسماليين ومراقبيهم .

بسبب هيمنة هذه العقيدة أحبط العمل النقابي في صناعة النسيج لا في بنغلاديش فحسب بل في كل أرجاء آسيا وأفريقيا. تتأتى عقلانية عدم تسييس العمل من تحجيم فهم الرأسمالية على أنها إدارة للعرض والطلب فحسب وانتزاعها من اقتصادها السياسي المعقّد الذي تنبني عليه المبادرة الإنسانية.

اتفاق الألياف المتعددة

من الخطأ الظن بأن الأسواق هي المسؤولة الوحيدة عن وحش النسيج الذي ينشب مخالبه في أقصى أركان الأرض. صحيح أن طبيعة العمل المكثّف التي تعتمدها هذه الصناعة تجلب غالبا العمال المهاجرين وتؤدي لاحقا إلى نشأة البيع المتجول. في القرن التاسع عشر كانت مصانع التشغيل بخسة الأجور تتزود بالعمال والعاملات من ذوي الأصول اليهودية الأوروبية الشرقية المهاجرة فيما شهد منتصف القرن العشرين انتقالا سريعا لصناعة النسيج إلى شرق آسيا، ولكن كان على حلقة توزّع صناعة النسيج المعولمة الأخيرة أن تتعامل مع جهاز العمل المعقد الذي ثابرت على وضعه حكومة الولايات المتحدة ومن ثم الطرق التي تهندس بها أعمال النسيج اليوم كونيا.

>>

فرض اتفاق الالياف المتعدد (ا أ م) (Multifi bre Arrangement) لسنة 1974 بتفاصيل دقيقة، عنصرا عنصرا وتصميما تصميما عدد قطع النسيج التي يمكن لبلد واحد من بلدان العالم الثالث تصديرها للولايات المتحدة. كان على قطعة نسيج صُدّرت من أي بلد من بلدان العالم في ما بين 1974 و2004 أن تحصل على تأشيرة مفردة قبل اجتياز الشواطئ الأمريكية. باعتبار استراتيجية أمريكا الحصصية كانت البلدان التي يمكن لها أن تزاحمها تُمنح حصصا أقل فيما تمنح حصص أكبر لبلدان أقل حجما مثل بنغلاديش وليزوتو. ليس من المفاجئ إذ أن تتسع صناعة النسيج التي لم تكن موجودة في بنغلاديش في بداية السنوات 1970 إلى تشغيل 3.5 مليون عامل في عشريات قليلة .

تم تصوّر ا أ م في البداية على أنه أداة مؤقتة ولكنه شهد أربع توسيعات في 1977 و 1981 و1986 و 1994 عمقت ترسيخه ووسعت الآمال في ديمومته. ولكن وبمجرد أن تم تأسيس منظمة التجارة العالمية (م ت ع) في 1995 قررت أن ا أ م يمكن أن يفكّك في ديسمبر 2004. حوّرت نهاية ا أ م جذريا صناعة النسيج الكونية وفيما كانت بلدان مثل النيبال وإندونيسيا تشهد انهيار صناعاتها النسيجية برزت الصين وبنغلاديش بوصفهما الرابحين من منافسة ما بعد ا أ م. عزز ذلك النموُّ النيوليبرالي ذو الأجور متزايدة التدحرج وظروف العمل غير المحمية التأكيد على تعديلات سلامة العمل حسب مصالح المشترين بوصفها الشرور التي لا بد منها لضمان التنافسية الصناعية.

تفسر آفاق ا أ م المحدودة التي ترسمها النيوليبرالية المنادية بالشرور التي لا بد منها سبب تشييد بناءات غير سليمة في بنغلاديش من دون الحصول على الموافقات الضرورية من الوكالات الحكومية. كان الحاكم أسند رخصة بناء مركب رانا ومئات البناءات الأخرى لأن وكالة سلامة البناءات في داكا، وهي الجهاز المخول بالاضطلاع بهذه المهمة، لم يكن يمكنه ببساطة تأمين ما يلزم إزاء النمو الانفجاري لصناعة النسيج البنغالية في ذلك الوقت. في ظل هذه الظروف يعادل اعتبار منتج واحد مع قلة من المختارين من مشتري منتوجاته على أنهم مذنبون في هذا الحادث المأساوي غير المسبوق وترك القوى الكبرى بعيدة عن الملامة بمثابة توبيخ عنصري مع غض الطرف عن نظام التمييز العنصري (الأبارتهايد). إن الأزمة التي تسببت في اندلاع نقمة شعبية غير مسبوقة قادت إلى انجراف الانسجام السياسي والاجتماعي في بنغلاديش هي أقرب إلى فشل جهاز التجارة المعولمة وانعدام إحساسه بالآثار الجانبية المقابلة لتنميتهم منها إلى فشل مركب رانا وجو فرش (Fresh Joe). ■

ورقتك البحثية في قبضة المناولة

بقلم جيفري ج سالاز، جامعة آريزونا، الولايات المتحدة الأمريكية

مثلي مثل العديد من العلماء لم تكن لي إلا فكرة غامضة عما يحدث لورقاتي البحثية بعد قبولها للنشر في واحدة من مجلات علم الاجتماع. إذا ما طبعت فذلك يعني افتراضا أن محرر المجلة حمل مقالي إلى محرّر ناسخ ذي تجربة في الغرفة المجانبة. لعقود شجعت ضغوط الوسائط، أي كون المخطوطات الورقية ذات أحجام كبيرة بحيث تكون غير قابلة للتحميل بيسر وسرعة على امتداد مسافات طويلة، على تركيز سيرورة النشر الاكاديمي في مكان واحد. إدارات المجلات ذلكم هو العمل المستند إلى الموارد الخارجية بادياً في الفلبين.

>>

وفرق التحرير والمطابع توجد اعتياديا في نفس الجهة أو المدينة أو البناية، وهي مرتبطة ببعضها البعض عبر صلات تنظيمية وما بين-شخصية مختلفة .

ولكن هذا النمط بصدد التنحي إلى جانب الطريق كل يوم أكثر. فيما بذلتُ سني الأخيرة في البحث عن صناعة سيرورة مناولة المعرفة (knowledge process" (KPO "outsourcing)) في جنوب شرقي آسيا، أجريت عملا ميدانيا في العديد من الشركات المتخصصة في تأمين خدمات للناشرين المقيمين في الشمال الكوني. تستخدم هذه الشركات جيوشا جرارة من الشبان تدفع لهم أدنى الأجور مقابل عمل يمتد لساعات طوال بوصفهم محررين ناسخين وطابعين ومختصين في المحادثات الإلكترونية وما إلى ذلك، تجعلهم ظروف عملهم هذه مشابهين لمجموع ما ينبت من الشركات الأجنبية المنتشرة على امتداد الجنوب الكوني .

عمالقة النشر

إذا كانت شركات KPO هي عملاق سلسلة مزودي المعرفة الصاعد فمن هي Apples. للإجابة على هذا السؤال يمكن أن نحيل على تحول جار في مجال النشر العلمي. عوضا عن شبكة من متاجر للنشر تستقبلها الأقسام الأكاديمية يمكن لنا اليوم أن نجد حفنة من Chronicle of Higher Education الحديثة التي يشار إليها على أنها عمالقة النشر .

هي مؤسسات ضخمة تقدم للعموم على أنها شركات تمكنت بشراسة من أن تفتك حقوق نشر المجلات الأكاديمية. حتى وإن لم تَصِرْ مجلاّت علم الاجتماع ومعها تلك التي تعتبر ضمن الميادين "الرخوة" مثل العلوم الإنسانية هدفا للعديد من مثل الشراءات فلن يمكن القول ذاته في ما يهم العلوم "الصلبة". تنتقل المجلات في هذه الميادين أكثر فأكثر إلى أيدي تجمعات نشر معولمة تشتغل بوصفها محركات صناعة للربح .

أكثر أمثلة هؤلاء العمالقة هي Elsevier B.V (إ ب ف). يمتلك هذا الناشر المقيم في أمستردام المجموعة الأكبر المسماة Reed-Elsevier المسجلة على قائمة London Stock Exchange والعديد من قائمات التبادل الأخرى. استنادا إلى The Economist يمتلك إ ب ف 2000 مجلة علمية ويتحكم في 25 بالمائة من المحتويات المنشورة في المجالات العلمية والطبية. وقد أوردت الصحيفة أن هامش ربحه سنة 2012 كان 40 بالمائة .

يقاطع حاليا العديد من العلماء المجلات التي يمتلكها إ ب ف بسبب الرسوم المشطة التي تفرضها هذه الشركة على الأفراد والمؤسسات من أجل النفاذ إلى مقالاتهم، ولكن نمط العمل الذي يستعمله إ ب ف وأخواتها تتجاوز نشر النتائج العلمية مسرعة إلى مجمل سيرورة الإنتاج الاكاديمي.

تنظيم سلسلة التزويد

تدفع شركات النشر بالعديد من التكنولوجيات الجديدة التي يستعملها العلماء ذواتهم في أبحاثهم وفي تعاونهم مع زملائهم. أحال التراسلُ الإلكتروني وبروتوكولُ نقل الملفات (ب ن م FTP) وبرنامجُ معالجة المكتوب وغماماتُ توطين المعطيات (cloud data-basing) وما شابه ذلك إلى عداد أشياء الماضي كلَّ ذلك المسار الطويل لتجميع مختلف مظاهر سيرورة النشر. بمجرد إرسال كاتب مراسلةً إلكترونيةً بها وثيقة مكتوبة على نظام وورد إلى محرر مجلة فوريا ومن دون تكلفة حتى يمكن للمجلة أن تعيد إرسالها إلى باعة في أي مكان من العالم .

اغتنمت تجمعات النشر العلمي الجديدة مثل إ ف ب هذه الفرصة عبر تطوير شبكة من الباعة عبر مناولة مجموعة متزايدة التنوع من خدمات النشر لفائدتهم. يتنافس هؤلاء الباعة فيما بينهم للفوز بعقد سنوي للخدمات أو أكثر وهم يقومون بذلك عبر الوعد بتأمين نوعية مقبولة بأبخس الأثمان. ويتضمن ذلك تطبيق تقنيات التصرف في سلاسل التزويد السارية على كل النوعيات في المصانع وكل مراكز النداء على سيرورة النشر، ويتم الاستغناء عن اليد العاملة الماهرة وتتبع بلا كلل ولا ملل أنظمة التحكم الآلي وينقاد العمل إلى الترفيع المستمر من الإنتاجية وإلا شطبوا أو حولوا من مراكز عملهم .

يمكن لي أن أعطي فكرة عن تعقيد سيرورة الإنتاج لدى هؤلاء الباعة عبر القول إنه في حالة قبول ورقتكم البحثية القادمة من قبل مجلة تستخدم هذا النمط من المناولة فإنها سوف تمر من خلال كبيوترات مكاتب ما بين 40 إلى 50 من مستخدمي الصفوف الأولى في الجنوب الكوني يتسلم الواحد منهم نصف دولار أجرا على الساعة للقيام بعدة من الأشيا ء.

تتبع سيرورة الإنتاج في واحدة من مثل هذه الشركات التي أنجزت فيها عملا ميدانيا استغرق أكثر من عام مثلا المسار التالي: يرسل الكتاب الذين تقبل ورقاتهم للنشر بوثيقة مكتوبة على نظام وورد إلى المجلة عبر التراسل الإلكتروني لترسله عبر نظام ب ن م إلى مستودع معطيات في الفيليبين حيث يتولى عدد من "المحررين الأولين" و "معالجي الوثائق" إدخال تحويرات عليها بحيث تضبط هوامشها ويتم التأكد من صحة تسجيل الإحالات وإدخال رقاع التعريف حسب لغة التأشير القابلة للتوسيع (XML) . عندها ترسل الورقة إلى واحدة من شركات الخدمة الهندية حيث يتولى متخرجون جامعيون جدد تلقوا تكوينا فائق السرعة في التحرير الآلي قراءة النص بسرعة لتصحيح أخطاء الرسم والنحو البادية. عندها تعاد الورقة إلى الفيليبين حيث يتولى طابعون إكساءها قالب المجلة الخاص على نظام الملفات القابلة للنقل (م ق ن PDF) قبل إرساله إلى الهند حيث تتولى فرق من محللي الجودة التمحيص في الوثيقة م ق ن لتصحيح أية أخطاء ممكنة .

عند هذا الحد يكون على كل من عمل على الورقة أن يكون ذا طلاقة معينة في الإنكليزية. ولكن عند ذلك ترسل وثيقة م ق ن إلى فيتنام حيث يكون جيش من المستخدمين الذين لا يجسنون الإنكليزية ويجنون بعضا مما يجنيه نظراؤهم الفيليبينيون والهنود. يمرون على كل ملف منجزين أعمالا بسيطة مثل التثبت في الفضاءات البيضاء والهوامش في كل صفحة ماحين كل تشويه يطرأ على وثائق م ق ن. ولكن الرحلة لم تنته بعد حيث يكون على الوثيقة أن تعود إلى الفيليبين حيث تتم سلسلة عمليات إنتاجية جديدة تماما لتجميع مختلف الورقات في صياغة نهائية للمجلة في نسختيها الورقية والإلكترونية. نادرا ما يستغرق كل المسار، من بدايته إلى نهايته ، أكثر من أسبوع أو اثنين.

>>

إضفاء طابع فوكسكون على العلم

كيف لنا نحن علماء الاجتماعيات الملتزمين بالعدالة الاجتماعية أن نجابه مناولة هذا المكون الأساس في العملية العلمية؟ ما من جواب يسير. يمكن للمناداة بمقاطعة المجلات التي تعتمد المناولة لحماية مواقع عمل المستخدمين الحاليين أن ينقلب إلى وقوع فريسة للحمائية الكارهة للأجانب. فإذا ما كان هندي أو فيليبيني قادرا على القيام بالعمل بنفس الجودة التي يقوم بها به أمريكي أو كندي فما المانع من ذلك. ومن ناحية أخرى، إذا ما كانت أوراقنا البحثية تقع تحت آثار هذا النظام لا محالة يكون من المشروع لنا أن نتصرف على هذا النحو. ولكن وإذا ما تركنا الطرافة جانبا، يبدو أن الغالب على نمط المناولة هذا أنه يؤتي أكله. مثلما أشرت في مؤتمر الج د ع اج الأخير لا ندرة في الكتب الإلكترونية (Macbooks) ولا في أجهزة الآيفون على الرغم من كون ذوي الشأن يعترضون ولا شك على التصرف الغليظ لإدارة آبل لسلاسل التزويد الآسيوية التابعة لها، يبدو أننا نرغب في تشجيع إضفاء طابع فوكسكون على العلم بما أنه ينجح في إيصال ورقاتنا للنشر في آجال قصيرة وعبر تشكيلة أوسع فأوسع من المحامل (بدءا من المجلات الورقية وصولا إلى النشر على الخط وإلى الكتب الإلكترونية) وبشيء من تدني الجودة لا غير .

مكن لنا على الأقل أن نطالب بشفافية أكبر حيال ما يحدث لورقاتنا ومخطوطاتنا بعد أن يتم قبولها للنشر. تتجه شركات النشر إلى أمداء بعيدة من إخفاء سلاسل التزويد التي بنتها طوال العشرية الأخيرة عن الكتّاب عبر عدم السماح للمحررين الناسخين بالتعريف بجنسياتهم أو مواقعهم عندما يراسلون الكتاب. ولكن هذا يشابه الممارسة المقعّدة في العديد من الأعمال والخدمات الصناعية. تورد شركات صناعة السيارات الأمريكية مقدار النسبة المئوية لما يصنع من مكوّنات سياراتها في الولايات المتحدة مقابل ما يصنع منها خارجها فيما تطبع آبل على كل واحدة من منتجاتها عبارة "صمم في كوبرتينو، وجمّع في الصين" رفعا الملامة. لا يجب أن يسمح لما يترعرع من التعاون بين الشركات والناشرين الاكاديميين بأن يفرض علينا أن نقبل الكعك الذي ينتجون وأن نأكله. فإذا ما كانوا يتجهون إلى الترفيع في سلاسل التزويد المعولمة من أجل التخفيض في كلفة الإنتاج ووضع كل ارتفاع فيها على كاهل الرسوم التي يوظفونها عليها، فإنا نحن العلماء، المنتجين والمستهلكين في آن معا ضمن هذا المجال- الصناعة غريب الأطوار، نستحق أن نكون على علم أحسن بظروف الحياة والعمل التي يحياها أولئك الذين يجعل شغلهم أفكارنا الأولى ورقات مصقولة. ■

كتب أقلّ ثمناً

لفائدة الجمعية الدولية لعلم الاجتماع

بقلم سوجاتا باتل (Sujata Patel)، جامعة حيدر آباد، الهند
ومحررة Sage Studies in International Sociology

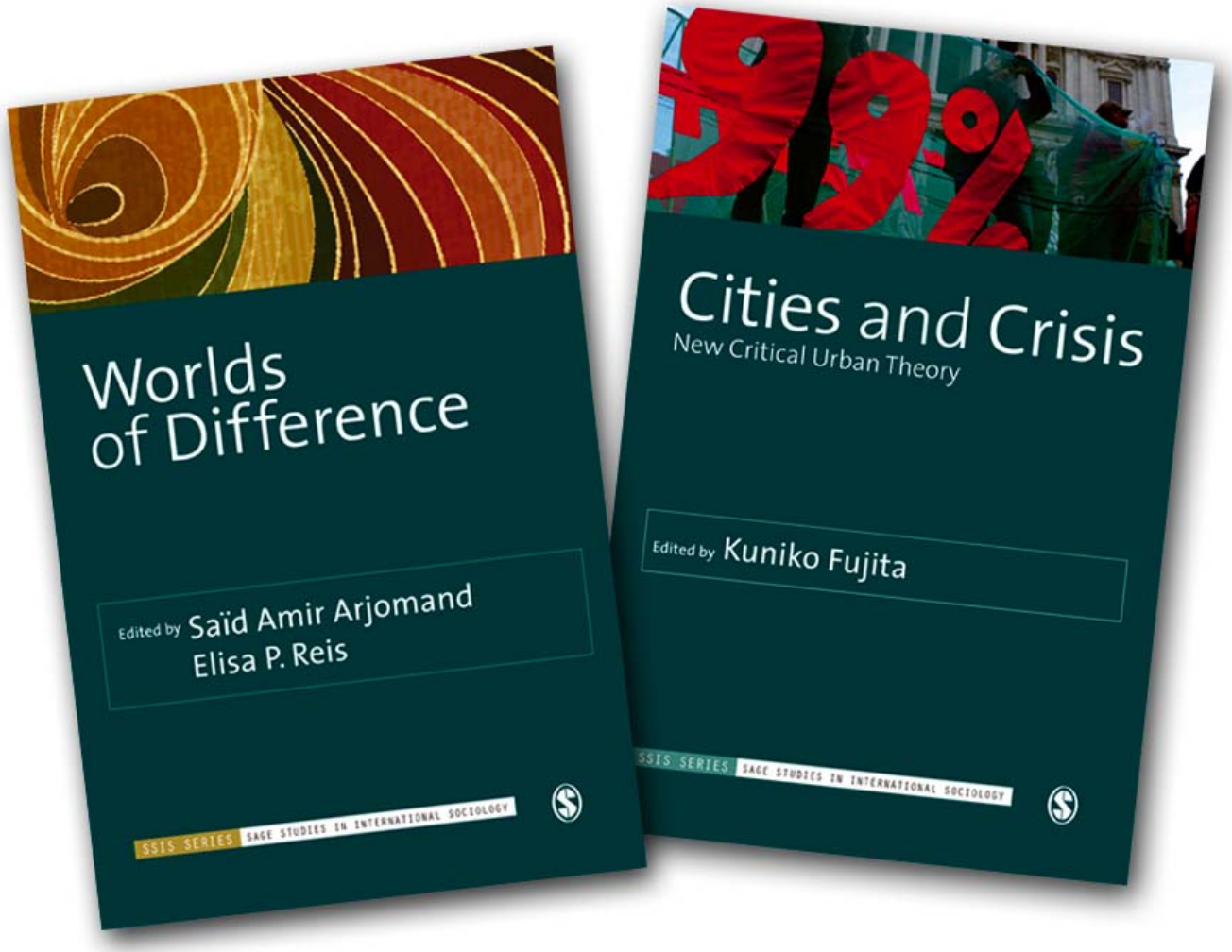

الكتابان الأولان في سلسلة يجب انتاجهما في الهند بأسعارتجارية مناسبة.

سيكون أعضاء ج د ع اج سعيدين جدا لعلمهم أنه من الآن فصاعدا ستكون كل الكتب التي تنشر حاملة لعنوان Sage Studies in International Sociology (SSIS بتسعة فاصل تسعة وتسعين (9.99) جنيه إسترليني أي ما يعادل عشر مثنها اقديم، ويشمل ذلك ثمن الشحن

البريدي. لقد أطلقنا تطبيق بنية هذا الثمن الجديد بكتابين هما "عوالم الاختلاف" الذي حرره سعيد آرجوماند (Said Arjomand) وإليسا رييس (Elisa Reis) و"مدن مأزومة: نظرية حضرية نقدية جديدة" الذي حرره كونيتو فوجيتا (Kuniko Fujita) ويمكن لأعضاء ج د ع اج أن ينفذوا إلى هذين الكتابين عبر Sage India بما يعادل 750 روبية لكل واحد (تاريخ الإطلاق: آب أغسطس 2013)، ترجى العودة إلى http://www.isa-sociology.org/publ/isa_handbooks.htm .

نحن كذلك بصدد إطلاق سلسلة جديدة بعنوان "نصوص أساس في علم الاجتماع على مدار العالم"Key Texts of World Sociology.. يدفع مشروع ج د ع اج هذا بنشر نصوص علم الاجتماع ذات التأثير خارج المنطقة الأطلسية، وستجمع هذه النصوص مكونات علم الاجتماع الأبلغ أثرا من مختلف أرجاء العالم. عند هذه اللحظة نحن نقترح أن ننشر النصوص بالترتيب التالي: 1- آسيا الشرقية (الصين، اليابان، كويا وتايوان)، 2- أمريكا اللاتينية، 3- أوروبا الوسطى والشرقية (بلغاريا، تشيكيا، المجر، بولونيا، رومانيان سلوفاكيا)، 4- أفريقيا، 5- المنطقة العربية .

SSIS واحدة من أقدم منشورات السلاسل في ج د ع اج. بعد أن انطلقت تحت تسمية Transactions of the World Congress of Sociology وتم نشرها انطلاقا من المؤتمر الأوّل في 1949، اكتست حلة جديدة تحت عنوان SSIS بقرار من ج د ع اج سنة 1974. منذ ذلك التاريخ واصلت نشر أعمال المؤتمرات الدولية ولجان البحث ومؤتمرات الجمعيات الوطنية وكذا عدد من العناوين الأخرى. هذه الكتب الستين (60) التي تحوي نصوص الكتاب وكذا النصوص المحررة ودراسات الحالة والكتب المختصرة والكتب المرجعية مثلت مساهمة رئيسة في الاختصاص عبر إدخال المناقشات والمجادلات وتوجيهها في الاختصاص باختلاف تخصصاته الفرعية.

زيادة على الاعتراف والإشادة بقيمتها كانت مبيعات كتب SSIS منخفضة الثمن. باعتبار الأثمان العالية (80 إلى 90 جنيها إسترلينيا) كان تداولها مقصورا عل المكتبات حتى في الشمال الكوني، فيما لا يمكن للمرء أن يرى لها أثرا في الجنوب الكوني. طوال الثلاث سنوات الماضية، وبفضل الدعم النشط للجنة النشر في ج د ع اج ولنائب رئيسها ورئيسها حاولت أن أقنع دار النشر Sage Publications اللندنية التي تنشر كتب SSIS أن تنتجها في الهند حيث تسعّر الكتب بأثمان أقل (ما يقارب العشر جنيهات). اعترضتنا للأسف معضلة: تصنيف الكتب المنشورة على أنها دولية (تلك التي تنشر في الشمال الكوني) مقابل الكتب المصنفة على أنها إقليمية (تلك التي تنشر في أي مكان من الجنوب الكوني). الكتب التي تنشر في الهند أو في أي دولة أخرى من الدول النامية تسوّق في المنطقة وتسعّر بما يناسب ذلك فيما تنشر الكتب في أي منطقة من الشمال الكوني وتسعّر للمستهلك المعولم وتباع بأسعار عالمية. لكل شركات النشر العلمية مثل Sage, Oxford or Routledge التي تملك مكاتب في البلدان المتخلفة اتفاقيات تجارة مع فروعها هناك تعمق من بنية الأثمان الفوارقية هذ ه.

ولكن ما كان معضلا صار قابلا للمعالجة. تمكنا من إقناع Sage بتحويل إنتاج كتب SSIS إلى فرعها Sage's India وتمكين أعضاء ج د ع اج من تخفيض ضخم على كل المنشورات المستقبلية. سنكون كذلك قادرين على بيع الكتب في الهند لفائدة غير الأعضاء في ج د ع اج بالأثمان الهندية علما وأن ذلك لن يكون ممكنا في الجنوب الكوني حيث ستباع بالأثمان العالمية. نحن ممتنون عظيم الامتنان لدار النشرSage لقبولها بهذه المبادرة بحيث تمكنا من عبور الخطوة الأولى على طريق كسر اللاتساوي في مجال النشر العالمي. أحث أعضاء ج د ع اج على اغتنام هذه الفرصة وإنجاح هذه السياسة الجديدة. اشتروا كتب SSIS وخذوا بعين الاعتبار هذه السلسلة في منشوراتكم المستقبلية.■

بين اشتراكيّتين

بقلم ماريا إيفانشيفا (Mariya Ivancheva)، جامعة أوروبا الوسطى، بودابست، المجر

فيما كنت أدرس في لندن سنة 2004، شاركت في اجتماع تضامني مع فينزويلا ركز على الإصلاحات التربوية البولفارية. بدأ المحاضر الضيف التربوي الفينزويلي أوسكار نيغرين (Oscar Negrin) كلامه قائلا "في فينزويلا وبدلا من جعل الأطفال يحفظون الملخصات نعلمهم أكثر الكلمات أهمية أم، سلم، شافيز". قفز قلبي إلى قفص صدري عندما تذكرت ما حدث لي أيام دراستي في بلغاريا الاشتراكية. فيما كانت أستاذتنا الرفيقة تونيفا تدربنا ضمن فصل الموسيقى طلبت مني أن أرفع يد أمي وأن ألقي قصيدا يقول " أفضل أمهات العالم هي بطلة الحزب". لم أكن أعلم ما كان الحزب. لم أكن أعلم إلا أن أفضل أمهات العالم هي أمي وقلت ذلك لأستاذتي. بعد لحظة من الصمت غيرت القصيد وبعد سنة طلبت منا أن ننسى لفظة الرفيقة وأن نناديها "آنستي".
بالعودة إلى لندن خرجت من الباحة بحيث رأى نغرين والمستمعون إليه من قاعة الفصل ظهر طفلة 1988 التي قفزت خلال مظاهرات الانتقال الديمقراطي الأولى لأن لازمة الأهزوجة الشعبية كانت تقول "من لم يقفز فهو أحمر". وفيما كنت أغادر اجتماع التضامن الفينزويلي ذاك كان يتناوبني شعوران: غبطتي بأنني كنت تخليت عن الشعارات المعادية للشيوعية لعائلتي والوسط الاكاديمي البلغاري وانشغالي لكوني حكمت على نهاية الاشتراكية باكرا وبصفة بالغتُ في إيجابيتها .

اليوم وبعد سنة ونصف من بداية اشتغالي على بحث ميداني حول إصلاح التعليم العالي في فينزويلا أقدّر كم كان رضاي سطحيا وكم كان انشغالي محقا. لم آت إلى هذا الموضوع للتداوي من معاداتي للشيوعية. كانت الحيرة تنتابني إزاء تناقض غريب بين الجامعتين اللتين ركز أولاهما مثقفون معارضون سابقون بعد الانتقال من

مهمة ريباس هي واحدة من برامج العدالة الإجتماعية أو من المهمات البوليفارية كما تسمى, و قد نفذت أثناء حكم هيغو شافيز. انها تحاول معالجة التسرب المدرسي عن طريق تقديم دورس في المرحلة الثانوية.

>>

نظام اشتراكي نحو ديمقراطية ليبرالية (أوروبا الشرقية) فيما كان العكس في الثانية (فينزويلا). تأسست جامعة أوروبا الوسطى (ج أ و) حيث كنت أتابع دراساتي للدكتوراه سنة 1991 بتمويل من المليونير جورج سوروس (George Soros) ومنشقين أوروبيين شرقيين ومثقفين ليبراليين غربيين. باعتبارها معهدا خاصا إنجليزي اللسان كانت تقدم التقاليد الثقافية المحلية على أنها فاشية ومركزية في أثنيتها وقوميتها أو توتاليتارية-شيوعية، وتربي طلابها التي تستهدف تحويلهم إلى "نخبة جديدة ما بعد اشتراكية على القيم "الكونية" للديمقراطية الليبرالية الغربية والعلم الأنغلو-أمريكي .

على النقيض من ذلك صمّم جامعة فينزويلا البوليفارية (ج ف ب)، وهي موضوع رسالتي، الرئيس هوغو شافيز وجمع من المثقفين الاشتراكيين. تم تدشينها سنة 2003 بعد محاولة الانقلاب ضد نظام شافيز البوليفاري وإضراب عمال صناعة البترول عاليي الكفاءة معتمدين على معونة البنتاغون المادية. بيّن هذان الحدثان مدى السخط على سياسات شافيز في إعادة توزيع الريع البترولي لدى النخبة الفينزويلية المناصرة لأمريكا التي كانت تحتكر المعرفة بالاعتماد على الاقتصاد الريعي. بغية التصدي لهذه الهيمنة وبوصفها جزءا من Misión Sucre الخاصة بسياسة التعليم العالي وفرت ج ف ب تعليما جامعيا عادلا ولامركزيا وجماهيريا لفائدة ما يتجاوز نصف مليون فقير فينزويلي. كانت متشربة بقيم المعرفة محليّ التمركز ومتداخل الاختصاصات والعلم العمومي التطبيقي لفائدة الجماعات المهمشة .

ذهبتُ إلى كاراكاس منشغلة إلى أقصي حدّ بإمكانية أن أكون محل استرابة السلطات لكوني من بلغاريا و ج أ و، وهو الشعور الذي بدا محقًا عندما بلغ مسامعي خلال أولى المحاضرات العمومية في ج ف ب أن ج أ و كانت مؤسسة "فاشية"، " تدرب جواسيس وكالة الاستخبارات الأمريكية". ولكن لم أستغرق إلا أقل من شهر حتى أفهم أن فينزويلا ليست "نظاما توتاليتاريا" وأنني لم أكن محل متابعة جاسوسية. كنت حللت ببلد خاض انتخابات حرة كانت فيها وسائط الإعلام التجارية تبيّن على الملأ الاعتداءات التي كانت تطال الحكومة المنتخبة ديمقراطيا. وباطلاعي على بلاغة مخبريّ، أي بلاغة المثقفين الاشتراكيين أعضاء الحركات الطلابية الفينزويلية طوال حقبة "الديمقراطية الليبرالية" (1958-1998) المعادية للنخبوية وعلى ممارساتهم التربوية الإدماجية سرعان ما تعرفت على منابع أفكاري المسبقة. كنت نتاج الوسط الاكاديمي البلغاري في ج أ و لما بعد الاشتراكية بنخبتها المتعالية وجامحة الرغبة في احتلال مناصب في المؤسسة الرسمية التي تتبنى قيما غربية بطريقة غير نقدية. في وضع احتلال ذاتي يفهم المثقفون البلغار، بمن فيهم علماء الاجتماع، الوسط الاكاديمي على أنّه جنة ناجين يمكن لهم من خلالها أن يختبروا جماعيا وأن يعبروا عن خجلهم من مواطنيهم "غير المتحضرين" في "دواخل" البلد. تناسبا مع ذلك كان التعليم العالي مبنيا على ما لا يجتهد الطلاب في إخفائه البتة من مقابلة مسارات الطلاب "الجيدين" بمسارات الطلاب "السيئين" من دون الإشارة إلى ما يقاسيه البعض فرادى ووحيدين من مظاهر اللاتساوي الطبقي التي تسببت في تلك الاختلافات. يترافق التصميم على اتباع المعايير ومؤشرات الإحالة والترتيب الغربية مع التأكيد على العلم "الموضوعي" الذي يصم الالتزام بكونه "إيديولوجيا" إلا إذا خدم السوق الحر ة.

بينما كنت أتبنى مبادئ ج ف ب تعرفت على رهاناتها وعلى التناقضات المتعلقة بها. على الرغم من الإعلان عن "نهاية التاريخ" أي الانتصار النهائي للديمقراطية الليبرالية على الاشتراكية سنة 1989 في أوروبا الشرقية كانت نهاية الحرب الباردة في فينزويلا قصية المنال. إزاء تجربة الشيلي التاريخية لسنة 1973 والحصار على كوبا وخطر انقلاب ثان في فينزويلا لم يكن بإمكان الحكومة أن تستخدم الإلزام لدفع الإصلاحات. كان التعليم العالي قد تأثر بالوضع. لسخرية الأقدار صارت الاستقلالية الأكاديمية التي دافع عنها اليسار الطلابي الفينزويلي في معارك دامية طوال القرن العشرين تستخدم من قبل خصومهم. بمقاومتهم للإصلاح في الجامعات العمومية القديمة وبرفضهم الاعتراف بالجامعات البوليفارية الجديدة كان الجامعيون المحافظون يجهدون لإعادة إنتاج التراتب السابق في مستويات جديدة. كانت الميزانيات والمخصصات التمويلية لا تزال تقرر من قبل الهياكل الرسمية التي كانوا يهيمنون عليها. دفع ضغط المطالبات الكثيرة بمقاعد دراسة للفقراء الجكومة لاستخدام حاصلين على بكالوريوس للتدريس في ج ف ب وأضفت على الخدمات صبغة لا مركزية. كانت الحاجة المزدوجة إلى في ج ف ب بحيث تمكن الموافقة على برامجها وإلى استخدام الجامعة بوصفها أداة للتغيير الاجتماعي العميق تخلق معيارا جديدا. كان على الاكاديميين البوليفاريين أن يتمكنوا من اللغة الخاصة بالاختصاصات الأكاديمية التقليدية وفي الآن ذاته أن يراعوا السنن الثقافية الخاصة بالجماعات الفقيرة. كان عليهم أن يرتقوا إلى معايير التفوق الاكاديمي وأن يهزموها في عقر مجالها في الآن نفسه .

آتية من عالم كان اشتراكيا تطلّب مني فتح عيني على حقائق اشتراكية القرن العشرين جهدا خارقا. أنا الآن أواجه تحديات جديدة. عندما أحاول أن أشرح تناقضات النسق الفينزويلي أُعتبر عادة من الجناح اليميني من طرف الاكاديميين اليساريين الغربيين "وطالبة مترحلة" ترغب في أن ترى الموجة الزهرية لاشتراكية أمريكا اللاتينية بألوان وردية ليس إلا. وفي بلغاريا ترفض المجلات المحلية عملي لأنه "منحاز" عندما لا أصرح أن فينزويلا "توتاليتارية". لحسن حظي يفهم أساتذتي وزملائي من في ج أ و الحرب الأكاديمية الباردة الجارية فهما أفضلا. ومع ذلك هناك شيء مؤكد: بعد أن غادرت الباحة في لندن لا يزال عليّ قطع طريق طويلة . ■

قصص قصيرة
من شوارع صوفيا

بقلم مارتن بيتروف (Martin Petrov)، جامعة صوفيان بلغاريا

ليست لهم ملكية خاصة وهم لا يحتلون موقعا في إنتاج رأس المال حتى وإن عملوا في التقاط قوارير الجعة الفارغة. هم يسكنون ساحة عامة حيث يحتسون كحولهم الطبي الذي يشترون من لصيدلية مضيفين إليه ماء من الحنفية العمومية في قوارير يجمعونها من القامة على مقربة من الحانات الفاخرة المفتوحة التي انتصبت خارج الحديقة المواجهة للمسرح الوطني. هم ليسوا مع ذلك غرباء عن النظام الرمزي الذي أنتجه رأس المال بل هم على العكس من ذلك بالغو الحساسية تجاهه حيث طوّروا استراتيجيات للانخراط فيها تامم التوفيق. إنهم المتشردون، أنتلجنسيا صوفيا clochard (بالفرنسية في النص الاصلي وتعني المتشرد) .

التقيت إ. عندما كان طالب بكالوريوس في الفلسفة. اشتغل عارضا عاري الجسم فيأكادمية الفن وكان يتسكع حوالي جامعة صوفيا عندما لا يكون له عر . ميكن لبعض زملائه في الدراسة ن يجدوا لديه هريوينا وقد يكون العكس. ليس اسم إ. معتادا لدى البلغار. كان أبوه يهوديا معدم في صوفيا- مشرد حقيقي.

إيطاليا وأمه يهودية فرنسية. كان أبوه الساعد اليمين للوزير الأول السابق لوخانوف (Lukanov) الذي يقال عنه أنه كان "مصعّد" أصحاب الملايين البلغار الجدد خلال السنوات 1990 موزعا أموال الحزب الشيوعي البلغاري على أعضاء مصلحة استخبارات الدولة الاشتراكية. على أثر اغتيال لوخانوف سنة 1996 كان على والد إ. أن يختفي من البلد فلم يظهر من جديد أبدًا. عملت أم إ. محاسبة لدى مصلحة الاستخبارات التي ذكرنا، وبعد السنوات 1990 صارت مهتمة بالخوارق وكتبت كتابا عنوانه "الإنسان والروح والكون: التبادل الطاقي-المعلوماتي" ثم ذهبت إلى دير في النيبال ولم تظهر من جديد أبد ا.

أنا لا أقول إن كل هذه القصص صحيحة ولا أقول إنها ليست كذلك، إنها مدونة من الغرائب التي حدثت فعلا في بلغاريا خلال العشريات الأخيرة. كذلك هي قصة حياة إ (E). باعتباره إ بنا لواحد من أعضاء النومنكلاتورا ، درس قبل 1989 في كلية الفنون الجميلة في فايمار ثم وفي 1990 كان في ماغورا وهي ناصية في صوفيا عرفت بكونها موقع من يشتغلون بتبديل الدولار والمارك الألماني غير القانوني وحيث صنع العديد من الأثرياء الجدد رؤوس أموالهم الأصلية، على ما يقال. هناك كان يعرض على زبائنه أن يخمنوا تحت أي من الكؤوس تكون الكرة أو تحديد أي واحدة من ورق الألعاب كانوا يحزرون. ثم حصل على شهادة في التمثيل من أكاديمية المسرح في صوفيا وخسر عمله في مسرح بسبب مشاكل كحول ومخدرات ووقع من على أرجوحة البهلوان في سير ك.

التقيته مجددا منذ بضعة أعوام. لم يكن له عمل ولكنه توقف عن استهلاك الهيروين وكان يقيم في علّية إحدى البنايات. كان يحصل على المال الذي يحتاجه لابتياع الكحول والسجائر باستعراض قصائد شعرية على مسامع الناس في الحديقة، وكان لا يزال يروي الحكايات عن تهشيمه سيارة أبيه المرسيدس ثم سرعان ما أطرد من العلّية كذلك. التقيت أصدقاءه أيضا وبعضا آخر من المنبوذين اجتماعيا الذين يحتسون شراب البيرة أو الكحول الطبي الذين يقتنونهما من صيدلية الجوار عند الحديقة الصغيرة المواجهة للمسرح الوطني. كان أول ما صدمني لديهم هو أنه لم يكن فقط ل إ. وحده قصص يرويها بل كان كل واحد منهم يقدم نفسه من خلال بعض الخصوصيات الغريبة وله قصة في ذلك. كان أحدهم روسيًا مهتما بدراسة اللغات والثقافة السلافية وكان آخر أرمينيا وثالث راعي بقر يرتدي جزمة ذات عنق من جزماتهم الرثة وقبعة من نوع Crocodile Dundee تعلوها ريشة. يبدو أن هذا التماهي مع عوالم غرائبية قصية البعد ومختلفة تمام الاختلاف عن حياتهم اليومية المليئة بالسعي وراء النقود والملجأ في ذات شوارع صوفياوحدائقها يقوم بدور المعوض عن افتقادهم لهوية اجتماعية معترف بها ولأي نوع من آمال الحيا ة.

ولكن كل واحد من هذه المجموعة يتذكر كذلك أوقاتا أفضل كانت له خلال السنين الأخيرة. أطرد أحدهم مع ابنيه الصغيرين من طرف زوجته وكان آخر يسعى لإيجاد عمل بعد التخرج من الجامعة. للعديد منهم تعليم عال وبفضل بعض الأقارب أو الأصدقاء أو لمجرد امتلاكهم رأس مال ثقافي هو ما تبقى لهم من حياتهم السابقة لم يكونوا في حال ميؤوس منها مثل حال ذلك الشبح المنحني الذي يجول في أرجاء الحديقة باحثا عن القوارير البلورية التي تركها شباب صوفيا المتأنقون الذين يرغبون في الالتقاء في نفس ذلك المكان. وعليه تضعهم استراتيجيتهم الغرائبية الذاتية على مبعدة من التعساء الذين لا قصص عندهم مثل التي لهم ولا يتحدثون إلا لأنفسهم. وعلى غرار ما يحب إ. قوله عن نفسه "أنا لست متشردا. أنا مُتَشَرْفَنًا ن" .

يبدو الجميع على صداقة ولكن وبمجرد أن أكون على انفراد مع أي واحد منهم يندفع إلى القول كم يرى الآخرين على سوء: فهذا أحدهم فرّ بالمال الذي سلّمه إياه مغيّر عملة عابر ليشتري به بيرة، وهذا آخر لا يزال يستهلك المخدرات وهذا ثالث ضاجع فتاة شديدة القبح. يشعر المتشرون-الفنانون في صوفيا المحرومون من كل وسائل الحياة الأساسية ومن الاعتراف ومن تطلعات الحياة بحاجة استثنائية موجعة للتميّز الذاتي ولا تتوفر لهم وسائل أخرى (مثل الاستهلاك) يحققون بها ذلك إلا الإبداع الشفاف وبعضا من الكيد أحيانا. ■

الجدل البلغاري ما بعد الشيوعي حول المحرقة

غيروغي ميدروف (Georgi Medarov)، جامعة صوفيا، بلغاريا

مثلما تعلمنا ذلك من موريس هالفاكس، ترتبط الذاكرة الاجتماعية ارتباطا حميميا بتكون الهويات الجماعية. يدلنا الجدل العمومي المتمّحس حول مصير السكان اليهود البلغار طوال الحرب العالمية الثانية بوضوح بالغ على الطريقة التي يمكن بها للماضي أن يشكّل سياسات الحاضر. خلال السنوات 1990 صارت المحرقة منبعا رمزيا رئيسا لصياغة الذاتيات السياسية أي القدرة على التمييز بين قدامى الشيوعيين ومعاديهم الجدد. يتقاسم الفريقان يوتبيا ما بعد سياسية موجهة للمستقبل: الاندماج الأوروبي، النيوليبرالية، إضفاء الصبغة الديمقراطية، إلخ... فيما تعكس التباينات، كما لاحظ عالم الاجتماع البلغاري أندري راتشيف (Andrey Raitchev) على الماضي، وبات الموضوع المركزي هو "هل كانت الفاشية قبل الاشتراكية؟". انخرط معادو الشيوعية في نوع من المراجعة التاريخية المحافظة وكان شعارهم الأكبر "كفانا 45 سنة (من الشيوعية)" وأكدوا أن الفاشية كانت نوعا من المبالغة الشيوعية تهدف إلى إضفاء الشرعية على النظام الاشتراكي وتبرير انحرافات سلطته. في الجهة المقابلة ينعت قدامى الشيوعيين معارضيهم بالثأريين وحتى الفاشيين لأنهم يخفون فظاعات الفاشية. هذا جدل قديم ولكنه اتخذ خاصيات بلغارية عندما تشابك مع قضية مصير السكان اليهود البلغار وهو المصير الواقع في قلب تأويلات متعارضة.

هذه الصورة من المتحف التاريخي اليهودي، بلجراد، تظهر الشرطة البلغارية يشرفون على ترحيل اليهود من مكدونيا البلغارية المحتلة إلى معسكرات الموت الألمانية في مارس *1943*.

سرديتان حول معاملة يهود بلغاريا

في الحرب العالمية الثانية انضمت بلغاريا إلى قوى المحور وألحقت بأراضيها معظم مقدونيا واليونان الشمالي الحاليين وأجزاء من صربيا الحالية. كانت الساكنة اليهودية في الأراضي البلغارية "القديمة" واقعة تحت قمع بالغ (مقصاة من التمتع بالحقوق المدنية، قوانين معادية للسامية، انتزاع ملكيات، محتشدات عمل، إلخ...). ولكن الحل الحاسم (الإبادة الإثنية

لليهود - المترجم) كان يلقى المعارضة من قبل المناضلين المعادين للفاشية وبعض أقسام من النخبة في الآن ذاته وتم تفاديه في آخر لحظة. من الناحية الثانية وفي الأراضي "الجديدة" لم يكن ذلك هو الحال وانتهى اليهود "الأجانب" إلى النفي إلى تربلينكا (Treblinka) .

مدت هذه الأحداث الشيوعيين القدامى ومعادي الشيوعية بالحجج. وتظهر البحوث السوسيولوجية التي أجراها "معهد الدراسات الاجتماعية النقدية" في الصحف الحزبية في السنوات 1990 أن قدامى الشيوعيين كانوا يركزون على إبادة اليهود في الأراضي "الجديدة" للتدليل على "الجوهر الفاشي" للنظام ما قبل الاشتراكي. على النقيض من ذلك يركز معادو الشيوعية على تفادي الحل الحاسم في الأراضي "القديمة" والذي يعود الفضل الأكبر فيه إلى المقاومات التي انتظمت في صفوف النخبة، وقللوا من أهمية المناضلين المعادين للفاشية، وقد كانت قوية في صفوف الشيوعيين، واصفين إياهم في الكثير من الأحيان بأنهم "مجرمو ن".

تتقاسم السرديتان معا عدم قدرة على الاعتراف بحجج المعارضين على أنها مشروعة. سمت عالمةُ الاجتماع البلغارية ليليانا داينوفا (Lilyana Deyanova) ذلك "الظاهرةَ التفاوضية ما بعد الشيوعية". ليست هذه مقتصرة على الماضي بل تسم العجز عن الاعتراف بحقيقة وجود مواقف "الآخرين"، وهي مصحوبة على الغالب بنداءات لتجريم ذاكرات "الآخر" "غير السليمة" في توافق تام مع الانشغال الأوروبي الأوسع والاتجاه نحو فرض قوانين جديدة للذاكرة. ترى الذاتية الملفوفة في مثل هذه الأنماط من الذاكرة الاجتماعية معارضيها بطريقة حادة التناقض وسخر من الخصم السياسي على أنه مختلف جذريا، غير سوي، غير وطني، خائن وكاذب ودخيل أجنبي في الجسم الوطني. ينظر للأمة في هذا الخطاب "المناقض على أنها كل متجانس وتختزل هذه المجادلات العتيقة في إما هذا أو ذاك. هل تم إنقاذ اليهود أم لا؟ هل كانت بلغاريا ديمقراطية أم فاشية؟ ما من خيار آخر موضوع للتمحيص. انهارت التحديدات السياسية الجامدة بعد 2001 مع انهيار نمط الثنائية الحزبية الذي كان يمثلها. بالنسبة إلى مصير الساكنة اليهودية كانت النظرة المعادية للشيوعية هي التي سادت واعتبرت المحاكمات الشيوعية لما بعد الحرب غير شرعية بما في ذلك تلك التي انتظمت ضد الفاشيين والمتعاونين والسفاحين. وتم تفسير نفي اليهود من الأراضي المحتلة على أنه "خيار لا بد منه" أو على الصيغة التي تقول إن "تلك الأراضي لم تكن ملكا لنا حقا". ولكن ذلك تم وللمفارقة من داخل إطار سردي يسعى إلى تقديم عمليات التوسع هذه على أنها "تحرير" و"توحيد لبلغاريا الكبرى". لم تشهد السنوات الأخيرة تعزز هذه السردية فحسب بل انعكاسها على مقدونيا المتهمة من طرف التيار الرئيس في الإعلام البلغاري ب"تزوير" التاريخ" بحيث صُوّر متحف المحرقة المبني حديثا في سكوبيي (Skopje) على أنه "زيف" و"مفرغ من المحتوى" إلخ... لم يعد الشيوعيون هم وحدهم الأعداء بل انضم إليهم المقدونيون الذين ينشرون الأكاذيب حول انخراط بلغاريا في المحرقة.

إغماض العين عن حقائق الفاشية

حولت سياسات الذاكرة منذ 1989 التفكير تحويلا فعليا نحو خصوصيات النازية ومعاداة السامية والفاشية ذواتها. عوضت نظرية تبسيطية للفاشية وجدت مع وجود اشتراكية الدولة وبنيتها المستمدة من تعريف غيورغ ديميتروف (قائد شيوعي بلغاري) الكلاسيكي (والذي يختزل الفاشية في ظاهرة طبقية) بأخرى. تم اختزال المحرقة في أخلاقوية ضحلة ذات تلوينة شوفينية تهدف إلى أن تقول "لنا" ما إذا كنا خيّرين أو شرّيرين. تم تفادي المجادلة التي نحتاج احتياجا صارخا حول الفاشية بوضع الملامة على كاهل قوة خارجية غير معلومة فرضت ما تتسم به هي من "التمييز واللاتسامح" ولكنها لحسن الحظ لقيت معارضة من "المجتمع المدني المتسامح تقليديا". تُخْفَى حقائق الفاشية البلغارية عبر التأكيد على افتقاد الخصوصيات الشكلية للفاشية، فحيث لم يوجد جمهور حزبي يسمى نفسه فاشيا لم يكن هناك من فاشية. ما من إشارة إلى الآداب الفاشية الغزيرة فيما عدى المقارنات الاختزالية بين "توتاليريتين". ما من إشارة مثلا على تحليل زيف شتيرنهيل (Zeev Sternhell) حول إيديولوجيا الفاشية ورغبتها السوريلية (نسبة على المفكر Sorel- المترجم) في تجاوز اليسار واليمين في آن معا. ولكن ما يغيب كذلك هو حيوية الفاشية ونزع الصبغة الكونية عن المواطنة وعبادتها للشباب والحياة النشطة والمفهوم النازي "اليهودية-البلشفية" ومعاداتها للشيوعية بطريقة فاشية... اختصارا ثمة محاولة لإغماض العين عن مفهوم للفاشية يمكن أن يستدعي توازيات مع يوتيوبيات ما بعد سياسية معاصرة. ليست هذه النواقص ويال الأسف مقتصرة على التيار السياسي الرئيس بل توغلت في العالم الاكاديمي شاملة العديد من علماء الاجتما ع.

يفاخر التيار الرئيس السياسي والإعلامي ب"البطولة البلغارية" وب"المجتمع المدني" خلال سني الحرب الذين "أنقذا اليهود في بلغاريا" فارضا الآن مفاهيم شعبية على ما كان. يتعامى التيار الرئيس، مع الإقرار بوجود عديدين قاوموا، عن حقيقة وجود "مجتمع مدني" قويّ مناصر للنازية شاملا في آن معا حركات ومسؤولين رسميين دافعوا بتصميم عن انخراط فعلي للدولة في الحل الحاسم. يضع ذلك سؤالا حول أي المجتمعات المدنية كان مقاوما؟ من منعت بلغاريا نفيهم؟ ما الذي يكمن وراء الحديث الجوهراني واللاتاريخي حول وجود (ماض ومستمر إلى الآن) بلغاريتين ؟

ومع ذلك، عادت، مؤخرا، التساؤلات والمنشورات النقدية حول المسألة إلى الظهور من قبل مؤرخين وعلماء اجتماع على الأغلب. سنة 2012 نظمت مجموعة واسعة من المنظمات الحكومية لحقوق الإنسان مؤتمرا فارقا بعنوان " اعرف تاريخك" هدف إلى نشر أعمال أكاديمية جدية على أوسع جمهور ممكن ولكن هذه الجهود فشلت في إثارة جدل واسع، بل إن هذه الأفكار الجديدة تعيش خطر انقلاب نقدها للتيار الرئيس وفخاره ب"أمّة المنقذين" إلى ضديده المنفّر من جمهور مفترض من "الجلادين المتواطئين". ■

دور العلم الاجتماعي في بناء ماليزيا

بقلم شمس الدين ب (Shamsul A.B)، الجامعة الوطنية الماليزية، كوالا لامبور، ماليزيا

ساهمت الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، لسنوات طويلة قبل إدماجهما في الجامعة رسميا بوصفهما اختصاصين اجتماعيين بأقسامهما الأكاديمية الخاصة، في بناء المعرفة الاستعمارية التي شيدت تصوّر المالايا ثم، وبعد 1963، فكرة ماليزيا .

طوال الفترة الاستعمارية وفّرت المعرفة الاستعماريّة الإطار الضروري للحكم عن طريق مقولة "اعرف واحْكُم" وهي المقولة التي بررت بالمقابل تأسيس مبدأ "قسّم واحكم" في الإدارة اليومية للدولة. كانت الجمعية الملكية لبريطانيا العظمى وإيرلندا التي تأسست سنة 1823 الحامل الرئيس للعلم الاجتماعي العامل على إثراء المعرفة الاستعمارية وتكنولوجيا حكم مالايا ثم ماليزيا. كان لها فرع في مؤسسة مضائق مالايا وبورنيو (Straits Settlement of Malaya and Borneo) التي تأسست سنة 1878 وحكمت عن طريق الشركة البريطانية الهندية الشرقية من كالكوتا. كان لفرع الجمعية الملكية الآسيوية مجلتها (Journal of the Straits Branch of the Royal Asiatic Society (JSBRAS)). سنة 1923 أعيدت تسميتها لتصير Journal of the Malayan Branch of the Royal Asiatic Society (JMBRAS)) ثم وفي 1964 صارت Journal of the Malaysian Branch of the Royal Asiatic Society (JMBRAS). كما كانت تصدر دراسات حالا ت.

على امتداد 135 عاما تقريبا تم بناء فكرة ماليزيا عبر منشورات الجمعية التي كانت تحوي مواد في التاريخ والجغرافيا والأدب واللغة والثقافة ودراسات الجماعات وعلوم النبات والحيوان. كان المساهمون الرئيسون من المدنيين الخادمين للاستعمار كانوا تدربوا على الغالب في الأنثروبولوجيا (حازوا شهائد فيها) من أكسفورد وكامبردج أو لندن قبل أن يرسلوا إلى مالايا. كان دجون غولليك (1916-2012) واحدا من هؤلاء الموظفين عمل في مالايا وألّف عن التاريخ والمجتمع الماليزيين اثني عشر كتابا اعتبرت في عداد علم الاجتماع التاريخي وتم لاحقا اعتماد العديد منها كتب نصوص في الجامعات المحلية .

وعليه، لا يكون من المفاجئ أن يكون أوائل الباحثين الذين أرسلتهم الإدارة الاستعمارية لمالايا بعد الحرب العالمية الثانية اثنين من الانثروبولوجيين ذوي الصيت العالمي وهما ريموند فيرث (Raymond Firth) الذي أتى لدراسة حال البحث في العلم الاجتماعي في مالايا وإيدموند ليتش (Edmund Leach) الذي جاء لدراسة الظرف الاجتماعي الاقتصادي للمجتمع في مالايا وساراواك. اتبع خطى فيرث وليتش طلبتُهم الذين أجروا بحثا ميدانيا مكثفا في اوائل السنوات 1950 في ساراواك مركزين على المجموعات الصينية والأهلية، وكذا في سنغافورة متفحصين عادات المالاويين والصينيين الثقافية، وكذا في نيغري سامبيلان حول المجتمع الأمومي الوحيد في مالايا، وكذا في جوهور حول أثر الحركة الألفية المسماة كيايي صالاح (Kiyai Salleh) في العلاقات الصينية الماليزية. وقد أنتجوا مجموعة من دراسات الحالة عالية

رايموند فيرث (*1901-2002*) شخصية مؤثرة في التكوين الإستعماري في الأنثربولوجيا المتعلقة باللغة المالوية.

>>

القيمة نشرت في المملكة المتحدة وفي غيرها .

كان من بين أعضاء الجيل الموالي الذي درس على أيدي فيرث في لندن عبد القهار باهور (الذي درس القيادات التقليدية المالاية) ومخزني رحيم (النظام الاقتراضي المالايي) وسيد حسين علي (الفلاحون المالايون والقيادة). عادوا كلهم للتدريس في جامعة مالايا حيث انضموا إلى عالم الأنثروبولوجيا ذي التكوين الآمستردامي سيد حسن العطاس المشهور بكتابه أسطورة الأهالي الكسالى (The Myth of the Lazy Native (1977)) الذي ساهم في بناء أفكار إدوارد سعيد حول الاستشراق. وكوّن هؤلاء الأساتذة نواة التدريس والبحث في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتما ع.

على أثر الحادثة الإثنية في 13 ماي 1969 اضطلع الانثروبولوجيين الاجتماعيون الأربعة المذكورون بدور عمومي كبير في "مسار التعافي" عبر مشاركتهم في أنشطة المجلس الاستشاري الوطني دافعين بالسلم والاستقرار في البلد. قاد تقرير لمؤسسة فورد حمَل عنوان " البحث العلمي الاجتماعي في خدمة الوحدة الوطنية: تقرير سري للحكومة الماليزية (1970)" تبنته الحكومة إلى إدراج الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والعلوم السياسية وعلم النفس والدراسات الاتصالية بوصفها اختصاصات جامعية أوجدت قاعدة لتأسيس الجمعية الماليزية للعلوم الاجتماعية سنة 1978.

أسست الحكومة كذلك إدارة للوحدة الوطنية بعيد الحادثة الإثنية في ماي 1969. وكان العديد من مدرائها وموظفيها من الانثروبولوجيين وعلماء الاجتماع الذين حصلوا على شهائدهم من الأقسام الجديدة ومن القسم الأقدم للدراسات الماليزية في الجامعة الماليزية كما كان العديد من كبار العاملين في الإدارات المدنية في ماليزيا من خريجي هذه الأقسام ذاتها.

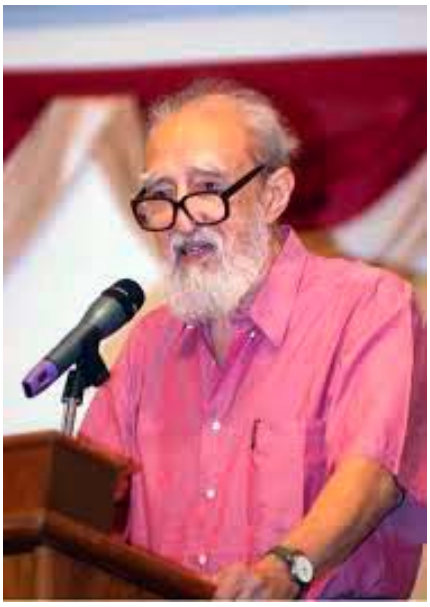

السيد حسين الأتاس, واحد من أعظم المفكرين المالويين المهتمين بالشأن العام, و سياسي و هو أيضاً الأب المؤسس لعلم الإجتماع المالاوي الذي تم تجديده بفضل نقده للفكر الإستعماري.

أول مجموعة خريجين من الجامعتين الماليزيتين كان سنتي 1974 و 1975 على التوالي وقد تم استقبالهم في القطاعات العمومية والخاصة حيث كانوا بعد قد حصلوا على مواقع عمل بوصفهم "مختصي دراسات عامة" على اطلاع على القضايا المعاصرة وقدرة على تقديم الخدمة لزبائنهم. كانت قدرتهم على "نشر الثقافة" في ماليزيا متعددة الإثنيات والثقافات مطلوبة بشدة وهو ما اتصل في القرن الواحد والعشرين. وقد ساهم أستاذ أنثروبولوجيا ماليزي اسمه تان شي بينغ (Tan Chee Beng) صاحب تأليف عنوانه "بيبليوغرافيا العلاقات الإثنية في ماليزيا" (1999) مساهمات قيّمة في دراسة تلك العلاقات. وفي 2005 قرّرت الحكومة الماليزية تقرير درس تقديمي إجباري في العلاقات الإثنية لكل الطلبة المسجلين في العشرين جامعة عمومية ماليزية، وكان مساق الدرس من تحضير فريق قدته أنا بنفسي وكنت في 2007 قد أُمِّنت على تأسيس معهد للدراسات الإثنية مستقل في الجامعة .

اختصارا اضطلع الأنتروبولوجيون وعلماء الاجتماع بدور مهم في صنع ماليزيا وخاصة في المساعدة على الحفاظ على التجانس الاجتماعي، وهم لا يزالون يحتلون موقع المحققين الهادئين الضروريين "لفكرة ماليزيا"، مجتمعا تعدديا مركبا إثنيا ولكن في دولة ذات توتر مستقر غير معهود في مجتمعات اليوم. ■

أطوار حياة عالم اجتماع ملتزم

حوار مع داتو رحمان إيمبونغ (Dato Rahman Embong)

يرسم رحمان إيمبونغ عالم الاجتماع الماليزي المرموق والمثقف العمومي منذ أمد، أطوار حياته المتشابكة وتطور علم الاجتماع الماليزي منذ الفترة الاستعمارية وصولا إلى النزاعات ما بعد الاستعمارية ثم قمع الانفتاح الجديد بعد *1991*.

مايكل بورووواي (م.ب): لنبدأ من البداية. كيف فعلت، أنت الذي ترعرعت تحت الاستعمار، لتحصل على تعليمك؟ يبدو هذا إنجازا خارقا؟

رحمان إيمبونغ (ر. إ): لنرسم المشهد. مايكل، أنت كنت مؤخرا في ماليزيا ورأيت بلدا مزدهرا غنيا بالنفط ذا شعب يعد 28 مليون نسمة يتطلع إلى تحصيل دخل عال وتكوين أمّة متطورة في حدود 2020. قطع البلد شوطا طويلا منذ أن كان بلد زراعة مائية وإنتاج سلعي عند استقلاله سنة 1957. مكناك خلال زيارتك من زيارة العاصمة كوالا لامبور حتى تحس بنبضها وترى المركز الإداري الجديد "بوتراجايا" المبني على أرض كانت قبل مزروعة مطاطا ونخيل زيت كانت في الأصل غائبة آهلة بشعبها الأصلي أورانغ آسلي. البعض يرى في المركز الإداري رائعة خلابة في مدينة تكسوها لمسة فنية تحسدها عليها العديد من البلدان النامية. كان حلم الوزير الأول ماهاتير بأن يخلّف المركز بوصفه ميراث ازدهار من عهده.

داتو راهمان امبونغ

ولكن دعني أعُدْ إلى خلفيتي. ولدت لعائلة مزراعين "متوسطة" لا غنية ولا فقيرة. ولدت في نيرينغانو التي كانت حينها الولاية الأكثر توغلا في الشريط الساحلي لأرخبيل ماليزيا (التي كانت تعرف آنذاك بمالايا). ولدت سنة 1944 حوالي منتهى الاحتلال الياباني عندما كانت الظروف قاسية جدا بالنسبة إلى كل العائلات بفعل اقتطاعات الغذاء وتقسيطه. كان والدي مزارع بادي (padi) وإماما في جامع محلي ولم يكن يرغب في إرسال أبنائه

>>

إلى المدرسة الإنجليزية بل إلى مدرسة عربية أو دينية. كما كان يبغض الإنكليزي الذي فر هاربا واستسلم عندما اجتاح اليابانيون مالايا .

كان أبي وأمي ممن يعملون بقسوة حتى تتمكن حقولنا من إعالة ثماني أطفال يكبرون، كنت أنا أصغرهم. وكانت العديد من العائلات الأخرى تقوم بالشيء ذاته. لا يمكن وصم هؤلاء الفلاحين بأعراض "الأهالي الكسالى" التي يتحدث عنها المستشرقون، تلك الأسطورة التي كشف زيفها سيد حسين العطاس في كتابه المتقدم المنشور سنة 1977 والذي صار الآن كلاسيكيا .

توفي أبي سنة 1949، خمس سنوات بعد ميلادي وقيل لي إنّه توفّي جراء إصابته بالملاريا وبعد أن صارع الحمى أياما. كنا حزانى إلى أقصى مدى. على غير ما هي عليه الحال اليوم كان المستشفى بعيدا ولم تكن ثمة مصحة ولا طبيب ولا حتى كنا نعلم حينها ما الذي أصابه. بعد موت أبي كانت الحياة عسيرة على أمي التي كان عليها أن تعيل صغارها بائعةً متجولة في الريف تبيع في سوق هذه القرية الصغيرة أو تلك الخضار والحلوى المصنوعة في المنزل والتبغ وأشياء أخرى. وبما أني كنت أصغرهم ولا زلت أزاول تعليمي في المدرسة فقد كنت أتوجّس من القيام بأعمال عابرة مثل إخوتي الأكبر مني سنّا ولكني كنت أتبع أمي في العديد من جولاتها على الأسواق الريفية مساعدا لها في حمل أكياسها الكبيرة بيدي الصغيرتين. كانت أمي في تلك الأيام جزءا من اقتصاد يتبادل فيه بضائع يدفع ثمنها نقدا على عين المكان وتحمل على الفو ر.

لم يكن هناك كهرباء ولا ماء مواسير في القرية كما لم يكن ثمة كراس ولا طاولات في منزل العائلة وفي الليل كنت أستضيء بفانوس الكيروزان لأنجز واجباتي المدرسية خاوي المعدة. ذهب أقاربي الأكبر مني سنا إلى المدرسة الابتدائية المالايية متبوعة بسنة أو اثنتين في مدرسة عربية أو دينية ولكنهم كانوا يتخلون عن الدراسة من أجل العمل. أما أنا فقد سلكت مسارا مختلفا. لم تكن أمي ولا أقاربي الأكبر مني سنا يرغبون في أن أتبع خطاهم بل في أن أذهب إلى ما بعد القرية. ولذلك وبعد أن أنهيت المدرسة الابتدائية الملايية والتعليم الديني الأساسي واجتزت امتحان القبول التحقت بالمدرسة الإنكليزية الحكومية الوحيدة في المدينة. سجلت في "الفصل الملايي الخاص" وهو فصل سريع التكوين مكنني من القفز إلى السنة السادسة من التعليم الابتدائي في سنتي الثالثة. وبما أني كنت تلميذا متفوقا جوزيت بمنحة للالتحاق بالمعهد العسكري الملكي على الساحل الغربي من مالايا وهو معهد نخبوي متعدد الإثنيات أسسه البريطانيون سنة 1953 لتدريب الضباط العسكريين المحليين وكذا الموظفين الحكوميين المحتملين. كنا خمسة من الملتحقين بالمدرسة فحسب خلال كل السنوات 1960 منحدرين من تيرانغانو. وكنت الوحيد من بين أبناء جيلي الذي توفق في التحليق إلى ما وراء مقاطعتي المحلية وخارج البلد لاحقا .

حينها كان عقيد المعهد العسكري ومدير الدراسات فيه والعديد من أساتذتي بريطانيين، وعلى الرغم من جودة تعليمهم فإن استعلاءهم غذى أحاسيس معادية للاستعمار فينا. عليك أن تتذكر أن تلك الفترة كانت على بعد عدد قليل من السنوات فحسب من الاستقلال سنة 1957 وأن سياسة إضفاء الطابع القومي الماليزي لم تحدث آثارها إلا بداية من منتهى السنوات 1960 وبدايات السنوات 1970.

بعد الفراغ من المعهد سنة 1964 أرسلت إلى بريطانيا "الأم" بمنحة من الحكومة الفيدرالية بغاية الخدمة لاحقا في المصالح المدنية الماليزية النخبوية بعد الانتهاء من التعليم الجامعي. وقد منح العديد من الطلبة الماليزيين المتفوقين منحا ممثلة للدراسة في المملكة المتحد ة.

م.ب: كيف هندست رحلتُك إلى إنجلترا وحصولُك على شهائدك من ليسستر ثم من معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية (م د إ آ، جامعة لندن) تطوّرَك الفكري والسياسي؟

ر.إ: كانت الدراسة في إنجلترا منعرجا حاسما في حياتي. لقد فتحت آفاقي الفكرية وعمّقتها وعززت مُثلي. ذهبت إلى ليسستر سنة 1965 لدراسة علم الاجتماع وبعد الحصول على شهادة البكالوريوس سنة 1968 واصلت الدراسة في مساق الماجستير في الدراسات المناطقية في م د إ آ في لندن وحصلت عليه سنة 1970 وكان أساتذتي هناك من أذيعهم صيتا في بريطانيا وأوروبا. في منتهى السنوات 1960 كانت لندن بل وكل بريطانيا وأوروبا الغربية تمور بالنضالية الطلابية ومعاداة إمبريالية الولايات المتحدة وخاصة تجاه اعتداءها على فيتنام. كما كانت الثورتان الصينية والكوبية محط اجتذاب للعديدين. وكنت على تماس مع العديد من مدارس الفكر في علم الاجتماع من الوظيفية البنيوية إلى الماركسية والبنائية الاجتماعية وقرأت كل أنواع الكتب والمجلات اليسارية من قبيلNew Left Review "مجلة اليسار الجديد" وNew Monthly Review "المجلة الشهرية الجديدة". كان ذلك هو السياق الذي صرت فيها مسيسا ومتجذرا، كما ألهم مثل هذا النضال العديد من أبناء جيلي في لند ن.

م. ب: ما الذي حدث عندما عدت إلى ماليزيا؟ كان البلد قد استقل منذ خمسة عشر عاما فكيف تلاءمت مع وضعه؟

عدت يوم 31 ديسمبر كانون الأول 1970، تسعة عشر شهرا بعد المظاهرات العنصرية العنيفة التي جدت في 13 أيار ماي 1969 في كوالا لامبور. كنت في المملكة المتحدة على اتصال متين بما يجري في البلد، وكانت أنباء مظاهرة 1969 قد صدمتنا صدمة صاعقة. كنت قائدا طلابيا حينها ونظمنا أنا وأصدقائي العديد من النشاطات مثل المنتديات والندوات بحيث نربي الطلبة المالايين والصينيين والهنود وآخرين ونوحدهم. كنا نجادل بقوة أن المسألة طبقية لا عرقية .

عندما عدت إلى البلد، كان قد بوشر بتأسيس جامعة جديدة تستخدم اللغة المالايية قريبا من الجامعة المالايية الأشهر التي كانت تستخدم الإنجليزية للتدريس. كانت الجامعة الجديدة هي جامعة كيبانغسان الماليزية (أي الجامعة الوطنية الماليزية، ج ك م) التي ركزت في أيار ماي 1970. كانت ثمرة نضالات الوطنيين الماليزيين الذين رغبوا في إنشاء جامعة تستخدم اللغة الوطنية أي المالايية لتعليم الطلبة الآتين من المدارس الحكومية خاصة. لم تُفعّل سياسة اللغة الوطنية المالايية في كل الجامعات إلى خلال السنوات 1980. تذكر أن الطلبة حينها كانوا مجموعة نخبوية لا يكونون إلا واحدا بالمائة من الفئة العمرية 18-24 على خلاف يومنا هذا الذي تجاوزت فيه نسبة مؤسسات القطاع الثالث 30 بالمائة.

>>

م.ب: كيف كان الحال بالنسبة إلى علم الاجتماع؟

ر.إ: حدثت العديد من التطورات في علم الاجتماع في تلك الأيام. كانت مصلحة هارفارد الإرشادية في الوزارة الاولى التي كان يترأسها الأستاذ صامويل هانتنغتون ويساعده الأساتذة مانينغ ناش وميرون وينر ونتهان غلازر قد سلّمت للتو تقريرا معنونا " البحث العلمي الاجتماعي من أجل الوحدة الوطنية" على أثر مظاهرة 1969 أوصى بتركيز أقسام علم اجتماع وأنثروبولوجيا وعلم نفس وعلوم سياسية في الجامعات الماليزية حتى تتم مواجهة مشاكل الوحدة الوطنية وكذا تدريب الخبراء على التعامل مع حالات النزاع في سياق البناء القومي. عندها ركزت ج ك م قسم للأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وبدأت تنتدب الهيئة الأكاديمية بنشاط. وعندما استدعيت لواجبي في الالتحاق بالخدمة المدنية بعد عودتي طُلب مني أن ألتحق بج ك م. قيل لي إنها تحتاج إلى واحد مثلي له شهادة الماجستير وخاصة وأنها من لندن للتدريس هناك. كان ذلك ما أرغب فيه فعلا في سري أي مركز تدريس في الجامعة .

م.ب: يبدو أن السنوات *1970* كانت سنوات ازدهار للعلم الاجتماعي وإن كان تحت إشراف فريق من هارفارد وانشغاله بالبناء القومي. هل كان الأمر على هذا النحو؟

ر.إ: صحيح أن أواخر السنوات 1960 وبدايات السنوات 1970 كانت فترة ازدهار للعلم الاجتماعي وللإنسانيات، وحقبة المناقشات الكبرى. ولكن دعني أظهر ما كان عليه الأمر بالنسبة إلى فريق هارفارد. سجل أنني كنت رابع مستجد في قسم الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع في ج ك م وأول ثلاثة حصلوا على شهائدهم من جامعة مالايا. والحقيقة أنه قبل توصيات فريق هارفارد ومنذ السنوات 1960 كان كلا الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع يدرّسان بعدُ ضمن مساق الثقافة في قسم الدراسات الملايية في جامعة مالايا. كان من أبرز علماء الاجتماع سوتان تقدير، علي شاهباناه، سيد حسين العطاس (الذي انتقل لاحقا إلى سنغافورة) وسيد حسين علي. ولئن كان بالإمكان القول إذًا "إنّ علم الاجتماع والأنثروبولوجيا هما ابنتا التحديث والبناء القومي" لم يكن فريق هارفارد قابلته الوحيدة عندما وضع له أساتذة الجامعة الملايية أساساته .

كانت المناقشات تتباين حسب الاختصاصات. كان رجال الآداب خصيبي الإنتاج مؤكدين على تأسيس الأدب القومي، مدافعين عن "الفن من أجل المجتمع" في مواجهة "الفن للفن"، وكان المؤرخون يطلّقون المناظير الاستعمارية (= الاستشراقية) للتاريخ، وكان الاقتصاديون يقيمون ما سمي "الجدل الاقتصادي الكبير"، وكنا نحن السوسيولوجيين نشن حربا باراديغمية على الوضعية والوظيفية البنيوية ونظريات التحديث بما فيها تلك التي كان يدعمها أعضاء الفريق الهارفا ردي.

على واجهة أخرى، كان الظرف كذلك ظرف حركة داكواه الإسلامية بوصفها جزءا من الحركة الطلابية والشبابية. كان المركّب الجامعي يعج بالنشاط النضالي الفكري المناهض للحرب الإمبريالية الأمريكية على فيتنام وللاعتداء الإسرائيلي على فلسطين. داخليا، دعمنا نضال الفلاحين غير المالكين لأرض واحتلال الحضريين من دون مأوى للمنازل وحملنا على الفقر الذي كان حينها يمس 50 بالمائة من العائلات وعارضنا الفساد وعقلية الإثراء السريع لدى النخبة الحاكمة .

بالنسبة إليّ أنا شخصيا، كانت تلك مواصلة لحياتي الجامعية ولنشاطي النضالي الطلابي في لندن. مستندا إلى ما كانت تقودني نحوه النظريات السوسيولوجية ألقيت درسين هما علم اجتماع التنمية وعلم الاجتماع السياسي فيما ألقى زملائي دروسا أخرى مثل علم الاجتماع الريفي وعلم الاجتماع الحضري والعلاقات العرقية وما إلى ذلك. أطلقتُ مجلة شهرية سنة 1973 بعنوان "الحقيقة" منعت بعد سبعة أشهر. ما كنا نقدمه أنا وأصدقائي لم يكن علم اجتماع أكاديميا ونقديا فحسب بل كان بعدُ علم اجتماع عمومي على الرغم من عدم امتلاكنا للتسمية آنذاك. كان موقفنا واضحا حيث اعتبرنا أن ما من علم اجتماع متحرر من القيمة وأن نظريات التحديث التنموية تخدم الشركات متعددة الجنسيات. على خطى غونتر فرانك كنا نجادل بأن التقدم والتخلف كانا وجهين لعملة واحدة وأن علم اجتماع التنمية الموروث من الغرب كان "متخلفا" مثلما كانت البلدان التي كان يفترض أنه موجه لها .

م.ب: عندها حلّ القمع. حدثني عنه وقلّي ما كان أثره في علم الاجتماع؟

ر.إ: كانت سنة 1974 نقطة تحول أخرى في مسار حياة العديد من الناس. كان المؤتمر الوطني الأول حول "دور علوم الاجتماع والأنثروبولوجيا والنفس وتوجهها" في ماليزيا يقام خلال شهر آب أغسطس من كل سنة بتنظيم من ج ك م. كنت رئيس اللجنة التنظيمية وكان مؤتمرا حيا انتظمت فيه مناقشات مكثفة حول نوع علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية التي علينا أن ندعمه ونطوره، وكان ذلك تعبيرا آخر عن الحرب الباراديغمية. شارك محاضرون من مختلف الجامعات الماليزية مع الباحثين والطلبة مشاركة نشطة، وعندها اقترحنا تكوين الجمعية الماليزية للعلم الاجتماعي (ج م ع اج) الذي تجسد سنة 1978 .

لم تلبث حركة الطلبة والحركة الفكرية التي بلغت ذروتها سنة 1974 أن تعرضت للقمع. تمت العديد من الإيقافات في شهر ديسمبر كانون الأول مستهدفة قادة الطلبة والنشطاء المناضلين المثقفين. كانت تلك نقطة التحول لتلك الفترة التي كانت لها عواقب وخيمة على تاريخ البلد اللاحق. تم إيقاف وسجن أنور إبراهيم، قائد المعارضة الماليزية الحالي، والذي كان حينها أكثر قادة حركة الشبيبة الإسلامية تأثيرا. بعد إطلاق سراحه تم انتدابه من قبل الوزير الأول مهاتير وبرز ليكون نائب رئيس الوزراء إلى حين انهارت علاقتهما سنة 1998. بقية الحكاية في عداد التاريخ .

في صفوف الاكاديميين، أوقف واحد من أكبر علماء اجتماع ماليزيا آنذاك، سيد حسين علي من جامعة مالايا واحتفظ به في الاعتقال ست سنوات حتى 1980. ما يثير الاهتمام أنه حافظ على عمله أستاذا جامعيا على الرغم من اعتقاله. كان صيته ذائعا بين الأساتذة ولم يلبث بمجرد أن غادر السجن أن انتخب رئيسا للجمعية الماليزية للعلم الاجتماعي وهو المركز الذي احتله لعشر سنوات حتى 1990 .

سنة 1975، وعلى أثر الإيقافات الجماهيرية تشددت الحكومة في مرسوم الجامعات والمعاهد العليا الذي كان وضع سنة 1971 عبر إدخال العديد من التعديلات التي قيدت الحرية الأكاديمية والاستقلالية الجامعية. كان

>>

ذلك مرسوما قمعيا عطل لسنواتٍ طوالٍ الحياة الجامعية الفكرية والطلابية، مرسوما لم يتم التخفيف فيه إلا خلال السنة الماضية .

م.بك كان ذلك إلى حدود *1991*، حيث تمت مصالحة مع المعارضة، وانفتحت الجامعات من جديد، ولكن ما الذي كنت تفعله طوال ذلك الوقت؟

ر.إ: على نحو ما يمكن أن تكون حدسته، أفلتُّ من الإيقاف ولكن عليّ أن أغادر البلد بعد حملة قمع 1974. كنت خارج المجال الاكاديمي الماليزي طوال ما يقارب العشرين عاما ولكني كنت أتابع تطوراته عن قرب ولم أتوقف أبدا عن البحث وعن الكتابة .

عدت سنة 1992 سنوات قليلة بعد انتهاء الحرب الباردة، وسمح لي انفتاح الحكومة وترتيباتها مقرونة إلى مقاربة ج ك م المهنية لأوضاع الاكاديميين المنشقين بالعودة إلى الجامعة في نفس القسم سنة 1995. كانت الأشياء قد تغيرت تغيرا كبيرا مقارنة بما كان في الأيام الخوالي. صارت الجامعات والحكومة تحت ضغوط السوق وقبلتا بإملاءاتها وصار التعليم يعامل بوصفه سلعة أكثر منه مرفقا عموميا. فقدت العلوم الاجتماعية والإنسانية بما في ذلك علم الاجتماع والأنثروبولوجيا تألقها لفائدة العلم والتكنولوجيا والدراسات المتصرفة. تمت إعادة هيكلة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية في جامعتي وفقد علم الاجتماع والأنثروبولوجيا موقعهما بوصفها قسما، وانحسر إذا أكبر قسم للأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع في تاريخ البلاد خلال السنوات 1970 بلا جدال إلى مجرد برنامج في يومنا هذ ا.

كان العديد من كبار علماء الاجتماع والأنتروبولوجيين من أبناء جيلي تقاعدوا أو انتقلوا إلى غير مكان. ولكن واحدا من الانثروبولوجيين الاجتماعيين المرموقين من القسم القديم لا يزال نشطا اليوم، وهو مدير مؤسس لمعهد بحوث بالغ الأهمية "معهد الدراسات الإثنية في ج ك م " يقوم بعمل اكاديمي وفي السياسات العمومية .

في ما يهمني أنا، كنت غادرت القسم قبل أن تعاد هيكلته وصرت باحثا متفرغا في معهد الدراسات الماليزية والدولية التابع لج ك م، وهو وحدة متعددة الاختصاصات العلمية الاجتماعية كان قد تكون سنة 1995. صرت أستاذا لعلم اجتماع التنمية ثم أستاذا متميزا سنة 2009 .

كان واحدا من الأشياء الأولى التي قمت بها عندما عدت إلى البلاد هو إعادة الاتصال مع جمعية علم الاجتماع. انتخبت رئيسا للجمعية الماليزية للعلوم الاجتماعية سنة 200 ومثلي مثل سيد حسين علي احتللت المنصب مدة عشر سنوات. بعد تركي له صرت المستشار الخاص للجمعية، وهو المنصب الذي أحتله حتى اليو م.

م.ب: أنت شهدت تطوّر علم الاجتماع الماليزي على امتداد أربعين عاما، إلى أين تعتقد أنه يتجه؟

ر.إ: على الرغم مما طرأ من تغيير، أنا أرى قبسا من النور في آخر النفق. ثمة إحياء للاهتمام بعلم الاجتماع في صفوف الأساتذة الشباب على الرغم من التأكيد على تعدّد الاختصاصات. يمكن لهم أن يروا قوة النظريات الاجتماعية والمناظير السوسيولوجية ومناسبة صوتها جنبا إلى جنب مع المناهج القوية في تحليل الظروف الاجتماعية واقتراح التغيير. لا تزال الروح والمثل موجودة. على الرغم من صغر العدد مقارنة بالاختصاصات الأخرى، يوجد نمو. تسعد الجمعية الماليزية لعلم الاجتماع أن ترى أن مثل هذا الاهتمام وتنامي العدد وفرصة النقاش معك أنت يا مايكل في وقتها تماما. يساعد ذلك على توليد اهتمام أعمق وتعميق نظرتنا. نحن نتطلع إلى العمل سويا وأنا متأكد من أن هذا التعاون سيكون محرك دفع لعلم الاجتماع وللعلوم الاجتماعية في ماليزيا إلى مصاف أرقى.■

علم الاجتماع التونسي بعد الثورة

بقلم منير السعيداني، جامعة تونس المنار، تونس

ثلاث وجوه للوضع التونسي الحالي ترسم حدود عمل علماء الاجتماع: التغير السياسي المتصل الحلقات، توسع في حرية التعبير، واندلاع موجة جديدة من الحركات الاجتماعية. وإزاء سرعة التغير الاجتماعي، أجاب علماء الاجتماع التونسيون على الأغلب بطرق فردية .

السياق ما بعد الثوري

شهدت دكتاتورية بن علي نهايتها في الرابع عشر من جانفي يناير سنة 2011. ومنذ ذّاك الوقت، شهد البلد "حربا للكل ضد الكل" في العديد من النزاعات التي يدور أكبرها حول "العدو العمومي" الجديد، أي السلفيين، الذين ينظر إليهم على أنهم التهديد الأكثر خطورة لما يسمى ب "نمط العيش التونسي". حتى الجمعيات الخيرية والإنسانية والثقافية والمنظمات غير الحكومية تم الزج بها، حتى رغما عن أنفها، في صراعات تشق حلبة سياسية حادة الانقسام. وليس وجود 150 حزبا وما يناهز 15000 جمعية ميسّرا لفهم الوضع .

الإحصاءات الاجتماعية وأنواع أخرى من المعطيات متوفرة الآن، ولكن الإدارة عارمة الفوضى والإصلاح متثاقل الخطوات لأساليب عملها لا يساعد بالضرورة على رسم صورة أكثر وضوحا للمجتمع التونسي. ومع انتشار حرية التعبير مثلما يدل عليه تكاثر المجلات والجرائد والوسائط الاجتماعية والقنوات التلفزيونية العمومية والخاصة (ما تجاوز العشرة) والإذاعات (ما يقارب 15 أغلبها على موجات الآف آم) تحولت الشوارع والساحات إلى حلبات للصراع السياسي ومختبرات لصناعة الرأي العا م.

فاعلو الأمس جزء من صراع الحاضر والمصالح القديمة تحضر في رهانات اليوم، فيما تلف الوضعَ حالةٌ من الغموض السياسي الحالك وهو ما يجعل عمل علماء الاجتماع محفوفا بالمخاطر. تبدو الحركات الاجتماعية وخاصة منها ما اندلع بعد انتخابات 23 أكتوبر 2011 أقل قابلية للمراقبة. انتشرت الإضرابات العامة المحلية والاعتصامات والمواجهات مع قوات الشرطة في كل أرجاء البلاد وخاصة في مدن الوسط الغربي الصغيرة، مهد الثورة. يُرى القادة المحليون أكثر فأكثر على رأس الاحتجاجات الاجتماعية التي تعمل هي ذاتها على وقع التوسع شبكات التواصل الاجتماعي الافتراضية. ما من قدرة لدى الخبراء والعلماء على النبوءة الاجتماعية فيما تعبّر الحركات الاجتماعية عن مطالب جديدة وتناضل من أجل أهداف جديدة من بينها البيئية والإثنية والجهوية أو تلك المتعلقة بالنوع الاجتماعي. وبذلك يجد تحليل الحركات الاجتماعية ذاته في حاجة إلى تجدّد يومي .

علم الاجتماع في زمن التمرد

يمكن توزيع الستين عالم اجتماع اكاديمي العاملين في أقسام علم الاجتماع الثلاثة في تونس إلى ثلاث فئات. أولها أولئك الذين نشروا كتبا عن الاضطراب الحاصل وهم ليسوا عديدين، ربما كانوا أربعة أو خمسة. نفس العدد تقريبا نشروا مقالات. أغلبية علماء الاجتماع لا ينشرون متحججين بأن "الحركة الاجتماعية الجارية غير قابلة للتحليل بالنظر إلى خاصيتها غير المنتظمة وسريعة التبدل". قبل الثورة لم يكن ثمة إلا عالمي اجتماع أو ثلاثة ممن يتناولون الحركات الاجتماعية والقضايا المتعلقة بها بالتحليل. خلال السنة الأولى من فترة ما بعد الثورة كان المنتمون إلى الفئة الثانية من علماء الاجتماع هؤلاء في وضع مريح إلى حد ما حيث كتبوا مقالات ذات طبيعة نظرية بعيدة عن المخاطر أو حول ما كانوا يعيشونه هم ذواتهم. كانت الجرائد الأسبوعية

محمد بوعزيزي, بائع الفاكهة التونسي الشاب الذي أصبح الأيقونة التي أشعلت الربيع العربي.

وحتى اليومية محملهم الاعتيادي وكانت مقالاتهم تعالج ما كان يجري في البلد، فيما حاولت مقالات أخرى أكثر تركيزا أن تحدّد فاعلي الانتفاضة، فيما كتب البعض منهم انطباعاتهم على صفحاتهم على الفايسبوك ومدوّناتهم .

في البداية أظهرت وسائط الإعلام القليل من الاهتمام بأصوات علماء الاجتماع وآرائهم ولكن ذلك تغير على مرّ الشهور. فيما يهم نشر معرفتهم، يجرّب علماء التونسيون علاقة جديدة مع وسائط الإعلام حيث يمثل الطلب على خدماتهم جزءا من الاستراتيجية السياسية في تعاملها مع القضايا الاجتماعية بطرق جديدة. صار العديد من علماء الاجتماع الاكاديميين أعضاء في فرق تحرير مجلات نظرية أو فكرية فيما انخرط آخرون في مراكز بحث لا تخضع إلى أية بنية أكاديمية، ولا إلى فريق منتج للعلم. ما طبيعة العمل الذي يقومون به هناك؟ ليس بوسع المرء أن يكون كثير التفاؤل اعتبارا للظروف التي يعملون فيها. يتعلق السؤال التالي بما إذا كانت وسائط الإعلام هذه تَهَبُ فُرَصًا جديدة لنوع من علم الاجتماع العمومي أم هي نوع من الأحبولة السياسية التي لا تزيد عن أن تنحدر بهم إلى المساجلا ت؟

يقول أحد علماء الاجتماع من الذين أنتجوا كتبا "كل ما نشرته كان بفضل جهودي الخاصة. لم يقدم لي أحد يد المساعدة"، فيما يجيب آخر "ما من فرصة تتوفر لنا نحن علماء الاجتماع الذين لم نبلغ بعد المراتب الأكاديمية العليا. أغلب الأنشطة، حتى تلك التي تنتظم داخل الجامعة، لا تكون إلا لفائدة من يتمتعون بعد "بالاعتراف"". وعليه، يواجه علماء الاجتماع الشبان وضعا عسيرا: "إذا ما كان على المرء أن يتعامل مع الوضعية بمفرده فإن علماء الاجتماع الشبان يتسموا بالغياب". وعلى الرغم من ذلك علينا أن نشير إلى الإصدار الجديد المعنون "التفكير في المجتمع التونسي اليوم: البحث الشاب في العلوم الإنسانية والاجتماعية" الذي صدر بالتعاون مع مركز الدراسات حول المغرب المعاصر وأنتج في ورشة كتابة أقيمت خلال شهر جويلية 2010 جمعت ما يقارب العشرين مقالا كتبت بالفرنسية. من جهة أخرى ومنذ نهاية دكتاتورية بن علي لم تكن الجمعية التونسية لعلم الاجتماع ذات الما يزيد عن الخمس وعشرين سنة قادرة إلا على تنظيم بعض اجتماعات لفائدة طلبة علم الاجتما ع.

واحدة من إجابات علماء الاجتماع التي تم تبنيها إزاء الوضع الحالي كان محاولة النشر في الخارج لتأمين منظورية أكبر. ولكن المنتدى السوسيولوجي الأول الذي انتظم تحت عنوان "علم اجتماع الثورات العربية" في مارس 2011 في سيدي بوزيد مسقط رأس البوعزيزي، ذاك البائع المتجول الذي انتحر حرقا وصار استشهاده محرك الثورة التونسية، لم يجمع أكثر من سبع علماء اجتماع تونسيين كان أحدهم مقيما في بيروت وجزائريا ولبنانيا أتي من لند ن.

سعى آخرون لبناء جسور مع الحركات الاجتماعية: "أنا نفسي ناشط في الحركة الاجتماعية، وأحاول أن أعزز موقعي عبر نشر وجهة النظر السوسيولوجية" يقول أحد الزملاء فيما شهد آخر بأن "الأمر ليس يسيرا. النشاط النضالي الاجتماعي التونسي جديد وكلا أنصار السياسيين المعارضين والحكومة يخلقون العديد من العراقيل. علينا القيام بالتدريب ونحت المفاهيم ذات الرسوخ الميداني وتجنيد الفاعلين في ذات الوقت وبطريقة ديمقراطية. يتوجب أن يكون ثمة احترام للديناميات الداخلية للمجموعات. ويكون ذلك أعسر إذا ما كنت وحيدا من دون سلاح آخر سوى إرادتك". ومن جهة أخرى، أظهر الباحثون الشبان منذ بداية السنة الجامعية 2011-2012 اهتماما متزايدا بالحركات الاجتماعية وخاصة في مستوى مذكرات الماجستير ولكن في مستوى الدكتوراه كذلك وإن بدرجة اقل. وترتكز العديد من هذه الأبحاث على أعمال ميدانية، وتحقيقات وأنواع أخرى من الاستقصاءات العلمية مركّزة على دور الشباب والوسائط الاجتماعية وذاكرات المشاركين في الثو رة.

فرص جديدة للبحث

ظروف البحث أكثر انفتاحا مما كانت عليه. تم التخلص من الخوف القديم من القمع السياسي والإداري الذي حجّم حرية التعبير ويجد المستجوَبون حرية في التعبير عن مواقفهم وتجاربهم، كما صار بإمكان الباحثين استخدام الصور والشهادات المسجلة على شرائط الفيديو وفي بعض الأحيان مذكرات. ولكن، وعلى الرغم، من ذلك لا تزال الأطر النظرية الجديدة محل انتظار في مراحل تطورها الجنينية .

يمكن القول إن علماء الاجتماع التونسيين المتفحصين لتغير مجتمعهم يواجهون العديد من العراقيل الكأداء في تطوير نظرة جديدة تجاه بحوثهم على الرغم من دفع التغير الاجتماعي السريع والعميق خلال فترة ما بعد دكتاتورية بن علي نحو مقاربة أكثر علمية في دراسة المجتمع. ويظل السؤال قائما: أسيكون علماء الاجتماع قادرين على الاستفادة من الفرص المتزايدة للاضطلاع بواجباتهم في تطوير المجتمع؟ ■

علم اجتماع سينمائي

حوار مع حويس صباغ (Joyce Sebag) وجون بيار دوران (Jean-Pierre Durand)

جامعة أيفري (Evry)، فرنسا

جان بيير دوراند

جويس صباغ

جويس صباغ وجون بيار دوران زوج يكوّنان فريق علماء اجتماع سينمائي في مركز بيار نافيل (Pierre Naville) بجامعة إيفري، قرب باريس. بعد أن كرسا عقديين من العمل الثري لعلم اجتماع الشغل قادهما ولعهما بالصورة سنة 1995 إلى بعث برنامج ماجستير في "الصورة والمجتمع". غنمت أعمالهما في نطاق الماجستير والدكتوراه مزاوجة فريدة بين العمل السينمائي المتجذر في الخبرة العلمية الاجتماعية ودرجات تثمين عالية لإنتاج شريط سوسيولوجي مصاحب. إبان ذلك أنتج صباغ ودوران كذلك ثلاث أشرطة وثائقية: "أحلام على الخط" حول ظروف العمل الجديدة في مصنع للسيارات في كاليفورنيا، و"نيسان: تاريخ طريقة في التصرف" حول استراتيجية شركة متعددة الجنسيات، "وخمسون سنة من التمييز الإيجابي في بوسطن" حول التمييز الإيجابي في الولايات المتحدة الأمريكية. تتويجا لعملهما اعترفت الجمعية الفرنسية لعلم الاجتماع مؤخرا بعلم الاجتماع السينمائي بوصفه حقلا رسميا للدراسة. حاورتهما جوردانا ماتلون (Jordanna Matlon) الحاصلة على منحة زمالة لما بعد الدكتوراه في معهد الدراسات المتقدمة في تولو ز:

جوردانا ماتلون (ج.م): لماذا تشيران إلى ما تقومان على أنه علم اجتماع سينمائي لا بصري؟

جويس صباغ (ج.ص): أعتقد أن علم الاجتماع البصري قد وجد منذ زمن وهو نوع من تحليل الصورة والشريط أكثر منه تفكير بالصّور. نحن نرغب في العمل على إيجاد طريق يتمكن عبره علم الاجتماع من التصريح بأشياء عن طريق الصورة والشريط .

ج.م: ما الذي تعتبرانه مهارات مخصوصة لدى عالم الاجتماع السينمائي؟

ج.ص: عندما تقومين بدراسة شيء يخيل إليك أنك أنجزت شيئا عقلانيا جدا تفصلك عنه مسافة كبيرة جدّا. يخيل إليك أنك "خارج" الموضوع. واحد من

>>

أسباب استخدام الوسائط للمساعدة هو إظهار أنك لا تزالين "داخل البحث ".

ج.م: وهذا جزء لا محيد عنه من المنهج؟

ج.ص: نعم. الشريط طريقة للقول إن العلم ليس "خارج" الناس، هو متضمن "داخل الأناس" المصورين أو المدروسين. وجهة نظرك موجودة ثمة. الوثائقي فضاء للتفكير، ونحن ننجز البحوث لخلق فضاء للتفكير وبوصفه طريقا للمناقشة مع من لا يكونون في وضع عالم الاجتماع ومن أجل خلق شيء جديد في الآن ذاته. ذاك مكان للقاء، وتلك طريقة للدخول إلى تعددية وجهات النظر. نحن نرى أن هؤلاء الناس الموجودون في الشريط هم ممثلو البحث. بإمكانك أن تريْ أنهم موجودون، وإنهم يفكرون وأنهم ليسوا مجرد أشيا ء.

جون بيار دوران (ج.ب.د): أقول إن كان علماء الاجتماع أعجبوا باستخدام الأشرطة ومقاطع الفيديو بصفو متأخرة نسبيا عن الانثروبولوجيين فلأننا في علم الاجتماع بدأنا بدراسة الإنسان حيث كنا نحن، لا في أفريقيا أو إندونيسيا أو ما شابه. عندما يتحدث علماء الاجتماع عن بلدانهم هم يحددون اختيارا فيما يهم موضوع الدراسة وشريحة الواقع التي يظهرون. بل أكثر من ذلك وعندما تكتبين يكون من اليسير أن تحددي ذاك الاختيار. ليس ما هو مهم أكثر من غيره بالنسبة إلى علماء الاجتماع ما نقوله بل ما نحذفه، ما يتبقى. عندما تكونين بصدد القيام بعلم اجتماع سينمائي يكون الوقوع على اختيار وحذف الأشياء المتبقية أكثر عسر ا.

ج.م: هل يمكن لكما مدي بمثال عن اختيار وقعتما عليه أو على شيء من تجربتكما؟

ج.ب.د: في وثائقيّنا "أحلام على الخط مثلا لم نتحدث كثيرا عن الاتحادات (النقابية) مع العمال، قليلا فحسب. وقد كان البعض منهم قالوا أشياء بالغة السوء عن الاتحادات. قالوا إن رجال الاتحا دات...

ج.ص: كسالى.

ج.ب.د: كسالى. قال أحدهم ذلك. وقالت امرأة "أنا عاملة. لا يمكنني لي أن اضرب عن العمل". لو كنت تكتبين لتركت هذا القول إذ قد يكون ثانية واحدة من استجواب مطوّل. ولكننا في الحقيقة هنا استخدمنا هذا التعليق لنظهر لماذا وكيف يقبل الناس بظروف جديدة مثل القواعد اليابانية للعمل، وطيف يكون رجال النقابات أن يسايروا الأعضاء ولذلك يصمتو ن.

ج.ص: رأينا أناسا يعملون على عجل بلغ منهم التعب مبلغا وواقعين تحت الكثير من الضغط. ولكن عندما قمنا بتصويرهم كانوا هادئين جدا ومرتاحين. وكان علينا إذا أن نظهر مدى الهدوء الذي كانوا عليه ولكننا استجوبناهم بالتوازي مع ذلك وقال الجميع "العمل شاق، شاق جدّا". ولكن ما أنجزنا ليس شريط شارلي شابلن ("الأزمنة الحديثة" وهو يصوّر ظروف العمل في عصر المكننة الصناعية التايلورية- المترجم). كان الأمر يبدو على غاية من السكون ولذلك عمدنا إلى عرض الحوار بالتوازي مع مناظر الشريط بحيث نظهر أن ما ترينه عندما تقومين بالملاحظة الميدانية ليس، أحيانا، حقيقة مشاعر الناس. وقد عنونا الشريط " أحلام عل الخط" لأن كل واحد كان يحلم بتجاوز ذلك، تجاوز الخط. كان ذلك الشريط إذا طريقا للبدء في خوض المناقشة. هو تحد لتبسيط الواقع، تبسيطا يعنّفه .

ج.ب.د: هو علم اجتماع ذاتي مثلما قالت جويس ولكنها معرفة عقلانية. لنا وجهة نظرنا ونحن نتحمل مسؤولية ذاتيتنا ولكن الأمر أكثر عسرا بكثير من كتابة كتاب أو مقال. ذلك أنه باستطاعتنا بالتأكيد القيام باختيار ما نصور أو نحرر وهكذا. هذا أكيد ولكن عندما تقومين بالتصوير لا يمكنك ترك الوقائع غير المناسبة. هذه مشكلة كبرى. لقد كتبت 15 كتابا تقريبا وأنا أعرف كيف أظهر ما هو مهم وكيف أسوق البراهين في كتاب. ولكن في الشريط لا يمكنك أن تسوقي البراهين بنفس الطريقة لأن الوقائع، أي الوقائع الاجتماعية، موجودة أمام ناظريك. يمكن لعلماء الاجتماع أن يكونوا أحيانا سحرة ولكن لا يمكنك ذلك إذا ما كنت تنجزين علم اجتماع سينمائيا .

ج.م: كيف تريان دوركما في المجتمع بوصفكما عالمي اجتماع سينمائيين؟

ج.ب.د: أعتقد أن دورنا هو إظهار ما هو مخفي في الحياة الاجتماعية. من أجل بلوغ ذلك نحن قد نحتاج إلى تفسير الأشياء عقلانيا ولكن، وحتى يُستمع إلينا ونجتذب انتباه الناس، يكون علينا كذلك أن نتعامل مع الانفعالات. في الكتابة، أعتقد أن إظهار طبقات عواطفنا وتلك التي نتحكم فيها منها أكثر عسر ا.

ج.ص: قمنا على سبيل المثال باستجواب قوي مع امرأة في شريطنا حول التمييز الإيجابي في حي محروم في بوسطن. كانت الطريقة التي أجابت بها تظهر كرامتها وتحكّمها في عواطفها. وكانت بهذه الطريقة تتحدى من تحدثه نفسه باستخدام القوة. أعتقد أنه من المهم إظهار الكرامة التي بها يشعر النا س.

ج.م: هل تعتقدان أنه يمكن للاستخدام المخصوص لانفعالية الإقناع في علم الاجتماع السينمائي أن يجعله مفتوحا أمام انتقاده على تلاعبه بالعواطف؟ أم أنه ربما يحتكم إلى طريقة أخرى في اجتذاب الفهم؟

ج.ص: ما من طريقة وحيدة لفهم الأشياء. وليس الفهم عقلانيا فحسب. الفهم عن طريق العواطف فهم هو أيضا إذ بالفعل بإمكانك أن تفهمي أكثر. ولكن من المحق القول إنه يمكنك كذلك أن تكوني متلاعبة بها عندما تكتبين كتابا، وربما بيسر أكبر. ولكن الشريط يغيّر كذلك العلاقة التي تربطين مع الأناس الذين تلتقينهم في الميدان. كنت على خط الإنتاج في مصنع للسيارات قرب باريس أقوم ببحث إثنوغرافي، عندما قال لي عامل: "أنت تقولين أنك تقومين ببحث ونحن نساعدك ولكننا بعد البحث نصير لا شيء لا نحصل على شيء بالمقابل. هذا جيد بالنسبة إلى مسارك المهني ".

ج.م: ذاك شبيه بالاستغلال.

ج.ص: هو شبيه بالاستغلال، ولكن عندما ترين أناسا يتكلمون في شريط ترين أنهم موجودون. يمكن لك أن تفسري لهم، ويمكن أن يكون الأمر نوعا آخر من الاستغلال ولكننا الآن بإمكاننا أن نقول لهم "أنتم موجودون"، تفكّرون، تتكلّمون، ويمكن للمتفرج أن يرى تعابيرهم الجسدية وأن يسمع

>>

مشهد يمثل فعلا ايجابيا من الفيلم الثاني لصباغ و دوراند عنوانه ميسسيبي, كولومبوس, بوستون: (من الميسسبي إلى بوستون: مسار عائلة). الفيلم يتتبع طريق عائلة افريقية أمريكية من العبودية إلى جامعة هارفرد.

نبرات أصواتهم. من المهم بالغ الأهمية أن نُظهر لهؤلاء الناس أنه ليسوا أشباحا بل بشر حقيقيون، وأنّهم يفكرون. أنت تستمعين إلى أصواتهم وترين وجوههم. لسنا نسند لهم أدوارا، هو يأخذون أدوراهم في الشريط.

ج.م: ما هي التحديات التي توجهانها في علم الاجتماع السنيمائي؟

ج.ب.د: تعوز الكثير من الناس، الجمهور وعلماء الاجتماع والعديد من العلماء، القدرة على قراءة الصور. في المدرسة نتعلم قراءة الكلمات وكتابتها ولكننا لا نتعلم أبدا قراءة الصور. ثمة بعض المختصين في الأشرطة مثل محلليها ومحللي الصور ونقاد الصورة إلخ. ولكن هوة كبيرة جدّا تفصل هؤلاء المحترفين والناس. هذه مشكلة لأن الجمهور وكذا العديد من علماء الاجتماع غير قادرين على قراءة الصورة. ذاك هو ربما التحدي الأكبر الذي يواجهنا بوصفنا علماء اجتماع سينمائيين .

ج.ص: هم في حاجة إلى تدريب في تحليل الصور وحتى يتمكن المرء من أن ينجز فلما عليه أن يفهم ما الذي يعنيه صنع صو رة.

ج.ب.د: في الصورة إحساس، ولكن إذا ما رأيت الصورة عليك أيضا أن تفكري في الموضوع الذي التقطت فيه وفي ما يكون خارج الإطا ر.

ج.ص: عندما تظهرين صورة يكون هناك شيء ما خارجها .

ج.ب.د: ذاك هو الإطار ولكنك غالب الوقت خارجه .

ج.ص: يكون الشيء ذاته بالنسبة إلى علماء الاجتماع. تبحث عما تراه وعما لا تر اه.

ج.ب.د: السيا ق.

ج.ص: ما هو خارج الحقل، ما هو مخفي من قبل الناس الذين يكونون في واجهة ما ترى.

ج.ب.د: لا يعتبر الكثير من الناس إلا وقائع ما يكون داخل الإطار، ولكنك بهذه الطريقة لا يمنك أن تفهمي العلاقات التي تربط ذلك بالمجتمع الأوسع، "الصورة الكبير ة".

ج.م: تكلمتما عن التدريب الضروري من أجل فهم الصور. أتصور أن الأمر يكون أكثر مناسبة عندما يتعلق بصنع علم اجتماع سينمائي جيّد. هل يمكنكما أن تحدثانا عن الكيفية التي بدأتم بها برنامج الماجستير في جامعة إيفري؟

ج.ب.د: تم افتتاح جامعة إيفري في بداية السنوات 1990 بوصفها واحدة من جامعات ضواحي باريس. اشتغلت بها عالم اجتماع شغل. كان لنا رئيس جامعة فطن جدا مناصر للتجديد. توجهت إليه جويس لمناقشة إمكانيات تدريس علم اجتماع الشريط السنيمائي فقال لها " لا مال عندي ولكن إن وجدت مالا فأنا أدعمك ".

ج.ص: وجده جون بيار. كان يقوم بدراسات حول صناعة السيارات وعرضت الإدارة مساعدة مالية على الجامعة. أعطونا مالا واشترينا أوّل جهاز تصوير. لاحقا، وبغية تنظيم التدريب في الجامعة قلت في نفسي خلال السنة الأولى "حسنا، إذا أردت أن تنتمي إلى الفريق وأن تدرس في هذا البرنامج يكون عليك أن تتابع كل تدريب يقوم به زملاؤك". يعني ذلك أنه عليك أن تتعلم الصوت وكتابة السناريو والإخراج والتحرير وكل شيء ولكن مضافا إليه تلقي دروس في علم الاجتماع والتاريخ والأنثروبولوجيا وتاريخ الوثائقيات وتحليل الصور. قمنا كلنا بذلك لمدة عام. بعد ذلك طلبنا من الوزارة أن تعترف بالتدريب التي اتبعناه وفعلت ذلك. وبدأنا سنة 1997 برنامج ماجستير "الصورة والمجتمع". يتطلب البرنامج من كل طالب أن ينجز شريطه المرتبط برسالته. يتوجب عليهم أن يقوموا به لوحدهم .

ج.ب.د: هذا الماجستير هو الوحيد الذي يتطلب كفاءة مضاعفة: تقنيّة في السنما والكتابة وما إلى ذلك ولكن في العلم الاجتماعي كذلك .

ج.م: عندما تقول إنه الوحيد هي يصح ذلك على فرنسا؟ أم على كل العالم؟

ج.ص: لا أدري ما هو عليه الحال في العالم. في فرنسا، هناك من يحاول الآن تطوير برامج أخرى. ولكن قد يكون برنامجنا هو الأ ول.

ج.ب.د: الآن لنا عشرون طالب ماجستير كل سنة وسبعة في الدكتو راه.

ج.م: بما أنكم تدرّبون محترفين إلى هذا الحد، أتشعرون أنكم تخسرون، بوصفكم اكاديميين، بعدم محافظتكم على تقليد علم الاجتماع السنيمائي الذي لديكم؟ أم أنكم تعتبرون أن هؤلاء الممارسين يعتبرون أنفسهم هم أيضا علماء اجتماع سينمائيين؟

ج.ب.د: الأمر بأيديهم. البعض بالغ الاهتمام بالحياة الاجتماعية أو السياسية والحقيقة أن بعض الطلبة أتوا إلى برنامج الماجستير بوصفهم نشطاء. بيّنا لهم أن النشاط النضالي ليس كافيا لصنع وثائقي جيّد إذ عندما تكونين ناشطة تكون لديك وجهة نظر ولا تكون عندك رغبة في رؤية أشياء

أخرى. على ذلك نحن نحتاج إلى ستة أشهر حتى نبيّن لهم أنه عليهم أن يغيّروا تفكيرهم وأن يتبنوا نظرة أشمل. يمكن لهذا النوع من الناس، وعندما يفهمون ذلك، أن يكونوا صناع أفلام جيدين لأن التزاما اجتماعيا يعتمل فيهم .

ج.م: هل تعتقدان إذا، بالنسبة إلى طلبتكم، أنه من الممكن أن يكونا أساتذة جيدين؟

ج.ب.د: يرغب البعض منهم في أن يصيروا وثائقيين ولكن من مستوى راقٍ، والبعض الآخر يرغب في أن يصيروا أساتذة، اكاديميين، نعم. ولكنهم يفهمون أن ذلك عسير لأنه يكون على علماء الاجتماع أولا أن يعترفوا بعلم الاجتماع السنيمائي بوصفه مجالا تام الشروط، ولا تزال الطريق التي علينا أن نسلكها لبلوغ ذلك طويلة. نحن نعمل على ذلك. لا توجد إلا ثلاث أو أربع جامعات منفتحة على علم الاجتماع السنيمائي، وليست هناك الكثير من مواقع العمل وتلك واحدة من مشاكلنا. نحن في بداية المسار. ■